

الفصل الأول

الجغرافيا السياسية النشأة والتطور

- ظهر علم الجغرافيا السياسية "Political Geography" كفرع أكاديمي مستقل بعد نشر "فريدريك راتسل" "F Ratzel" كتابه "الجغرافيا السياسية" "Politische Geographie".
- تناول الكتاب العديد من الأفكار التي تمت دراستها عبر العصور، خاصة تلك التي تناولت العلاقة بين الإنسان والبيئة "man-environment relation" والتنظيم السياسي "political organization" للإنسان في الإطار المكاني.
- العلاقة بين ظروف البيئة الطبيعية "physical environment conditions" والدولة جذبت اهتمام دارسي الجغرافيا ودارسي السياسة ودارسي التاريخ.
- الدراسات القديمة التي تناولت هذا الموضوع كانت على يد فلاسفة متأملين يبحثون عن الأسباب التي تشكل الظواهر البشرية.
- تأثر عناصر البيئة الطبيعية المحيطة بهم في صنع شخصية الإنسان وسلوكه.
- كتاباتهم احتوت على الكثير من التعميمات "generalizations" التي ارتبطت في الأساس بمبدأ الحتمية الجغرافية "geographical determinism doctrine".
- نشأة علم الجغرافيا السياسية كعلم مستقل بذاته له منهج خاص به وقضاياها التي يعالجها كان على يد الألماني راتسل.
- وبشكل عام فإنه يمكن تتبع و رصد مسار الكتابة والتفكير الجغرافي - السياسي والتي تعود لفترة طويلة عبر مراحلها المختلفة كالتالي:
- الفكر الجغرافي - السياسي في عصري اليونان والرومان
- يبرز في هذين العصرين اثنين من الفلاسفة المفكرين الذين حملت أفكارهم وكتاباتهم الكثير من بذور وأسس الفكر الجغرافي - السياسي، وهما:
- أرسطو Aristotle
- أرسطو "Aristotle"، الفيلسوف اليوناني، يعد أقدم من كتب في الجغرافيا السياسية "Political Geography".
- في كتابه المعروف بـ "السياسة" "Politics"، قدم نموذجاً للدولة المثالية "model of ideal state"، مشيراً إلى عنصرين أساسيين هما السكان وطبيعة المنطقة التي توجد فيها الدولة.
- قدم أرسطو أفكاراً حول أثر السكان والظروف الطبيعية في تحديد قوة أو ضعف الدولة، والتفاعل بين السكان وإقليم الدولة "territory".

- طرح أرسطو فكرة النسبة بين مساحة الإقليم وحجم السكان، المعروفة بـ “optimum size of population”، والمساحة “area” المتاحة للحياة السياسية للدولة “political viability of state”.
- طرح أيضاً فكرة التعايش والاعتماد المتبادل ضمن نظام أكبر (دولي) من الدول القومية.
- تبنى أرسطو في دراساته مبدأ الحتمية البيئية “environmental determinism”.
- قدم بعض الآراء والبيانات الحتمية المتطرفة والبعيدة عن الصواب لوصف الأمم والشعوب على أساس غير مفسر علمياً.
- وصف سكان المناطق الباردة والأوروبيين بأنهم يتميزون بالحيوية ولكنهم قليلوا الذكاء وغير أكفاء في مهارتهم.
- وصف سكان آسيا بأنهم يملكون مستوى عالٍ من المهارة والذكاء لكنهم أقل حيوية.
- العرق اليوناني “Greek stock” وسكان الجزر اليونانية، بفضل موقعهم الجغرافي المتوسط، اكتسبوا سمات سكان كلا الإقليمين السابقين من الحيوية التي جعلتهم أكثر حرية وذكاء، وهذا جعلهم يحوزون تطور سياسي أعلى.
- استرابو Strabo
- استرابو “Strabo”، عالم الجغرافيا الإغريقي، كان له منظور مختلف في الجغرافيا السياسية “Political Geography” عن أرسطو “Aristotle”.
- بينما نظر أرسطو للمسألة من وجهة نظر الدول صغيرة الحجم “small-size states”، مثل الدولة المدينة أثينا، نظر استرابو للمسألة من خلال وجهة نظر الدول كبيرة الحجم “large-size states”، حيث عاش في زمن الإمبراطورية الرومانية.
- في كتابه “الجغرافيا” “Geography”، فحص استرابو الشروط الضرورية للأداء الوظيفي الناجح للدول الكبيرة الحجم، مثل: المساحة الكبيرة، وعدد السكان الكبير، والموارد الوفيرة، والتنظيم السياسي المحكم الجيد، والحكومة القوية.
- من خلال تطبيق الدراسة على الإمبراطورية الرومانية، توصل إلى أنه لكي تقوم الدولة كبيرة الحجم بوظائفها بنجاح يتطلب هذا وجود حكومة مركزية قوية وحاكم واحد للدولة.

الفكر الجغرافي - السياسي في العصور الوسطى

- مع سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، بدأ في أوروبا العصر المظلم “dark age” في المعرفة الجغرافية والبحث العلمي بشكل عام، واستمر هذا التدهور لما يقرب من ألف عام.
- خلال هذه الفترة، قلت وتدهورت الدراسات المتعلقة بعلاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به.
- معظم الدارسين تجمعوا في أديرة أوروبا المسيحية، ولم يكن لهم اهتمام بالدراسات العلمية.

- كان اهتمام الدارسين منصباً على تجميع وتصنيف المعلومات من المصادر الوثائقية، بهدف التوفيق بين الأفكار الجغرافية المسجلة فيها وسلطة الكتاب المقدس، خصوصاً سفر التكوين "the Book of Genesis".
- على النقيض من أوروبا المسيحية، كان العالم العربي - الإسلامي في ذلك الوقت يحرز تقدماً كبيراً في مجال البحث العلمي ومنه الجغرافي.
- سفر التكوين هو أول أسفار موسى الخمسة - التوراة أو العهد القديم (التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، التثنية).
- العهد الجديد - الإنجيل يتكون من 27 سفرًا، الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وأعمال ورسائل الرسل، وسفر الرؤيا.
- ابن خلدون
- ابن خلدون، ساهم في ميدان الجغرافيا السياسية "Political Geography" بإسهامات كبيرة، من خلال كتابه المعنون بـ "مقدمة ابن خلدون" الذي ترجم إلى اللغة الإنجليزية تحت اسم "مقدمة في التاريخ" "Introduction to History".
- ركز ابن خلدون في كتابه على القبيلة "tribe" والمدينة "city"، وهما أهم عنصرين في الهرم السياسي "Political hierarchy" عند العرب حينئذ.
- حدد هذين الشكليين من التنظيم السياسي والاقتصادي على أنهما مرحلتان متباعدتان في تطور التنظيم الجيوسياسي في البيئة الصحراوية.
- يمثل البدو الرحل أول تلك المراحل، في حين يمثل سكان المدن الذين ينتمون إلى أصول بدوية مهاجرة أو نازحة آخر مرحلة من مراحل التطور في التنظيم الجيوسياسي للمكان، والتي يبدأ عندها الاضمحلال.
- ابن خلدون أوضح العلاقة بين نمط الحياة ومفهوم الدولة، والفرق بين طبيعة النظم القبلية عند البدو الرحل والنظم الحضرية عند قاطني المدن.
- في النظم البدوية، هناك تزاوج بين الأنشطة الزراعية ورعي الماشية، وهما يمثلان أساس حياة القبيلة. أما في المدن، فقد حلت أنشطة التجارة والصناعة محل تلك الأنشطة.
- طبيعة حياة البداوة تجعل البدوي في عملية ترحال دائمة من مكان إلى آخر، بحثاً عن الكلاء والعشب، مما يجعل من الصعب تكوين مفهوم الانتماء للموطن الدائم (الوطن) "Homeland".
- مفهوم الأمة بالنسبة للبدوي يتمثل في القبيلة، وتصبح القومية لديه قومية القرابة "kinship nationalism" أو القومية القبلية "tribal nationalism".
- الحياة في الحضر (المدينة) تتطلب تعايش مجموعة من البشر مع بعضهم البعض مع اختلاف مستوياتهم وأهدافهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولكن يجمعهم الانتماء "loyalty" إلى مكان واحد (الوطن).

- القومية بالنسبة لسكان الحضر تقوم على علاقة مرتبطة بالأرض، أي علاقة مرتبطة بالمكان تسمى القومية الإقليمية "territorial nationalism" وهي مبنية على أسس تبادلية سياسية واقتصادية، وليس على أساس رابطة الدم "blood-relationship" كما في القبيلة.
- توصل ابن خلدون إلى أن العلاقة التبادلية بين المدينة والمجتمع القبلي لا ترتبط فقط بالنمو والتطور، ولكن هناك علاقة وظيفية، وأن تلك العلاقة تتطور مع التطور الاقتصادي.
- يعرف ابن خلدون الدولة "State" بأنها الامتداد المكاني والزمني لحكم عصبية ما، ويشبهها بالكائن العضوي.
- قدم الخطوط العريضة لما يسمى الآن بدورة حياة الدولة "life cycle of state"، وسماها "نظرية التعاقب الدوري"، وحصرها في خمسة أطوار هي:
- (١) طور الظفر بالغبية، وهو طور التأسيس والاستيلاء على الحكم، ويتسم بالتعاون والتكاتف بين أفراد الدولة لحماية مصالحها، المشاركة في السلطة، المساهمة في النهوض باقتصاد الدولة.
- (٢) طور الاستبداد، وفيه يبدأ الحاكم في احتكار السلطة، ويرفض المشاركة السياسية، ينتج في هذا الطور توتر سياسي، مما يجعل الحاكم يتخذ أعوان وأنصار لحمايته من المعارضة.
- (٣) طور الفراغ، ويتميز بالعمل على تنظيم الحياة الاقتصادية والسعي إلى رفعة الدولة، الانفاق على الحاشية والأعوان، العناية بالجند (الجيش) والفخر بهم أمام الدول المسالمة وإرهاب الدول المعادية.
- (٤) طور القنوع والمسالمة، ويتسم بقناعة الحاكم بما بناه الأوائل، ويسالم الدول، ويقلد أسلافه.
- (٥) طور الإسراف والتبذير، وفيه يستهلك الحاكم ما أنتجه الأوائل، وينغمس في الملذات والشهوات، يصطفي حاشية من أهل سوء، ويقوم بتعيين المفسدين وغير الأكفاء في مراكز مهمة بالدولة، ويهمل مصالح الدولة، ويهمل الجند (الجيش).
- محاولات ابن خلدون في العصور الوسطى للوصول إلى نموذج نظري لنمو الأمم (الدول) وانحسارها تتشابه مع أفكار العديد من المفكرين السياسيين الأوروبيين الذين قدموها في القرن التاسع عشر.
- بدأ كتاب ابن خلدون بمناقشة ودراسة علاقة الإنسان بالبيئة، وكان منهجه في الجغرافيا غير حتمي، حيث عرض عاملين يؤثران في حياة الإنسان هما: (١) البيئة الطبيعية المحيطة به، (٢) الخبرات الثقافية والتاريخية.
- يقر "Kimble" أن ابن خلدون له الفضل في اكتشاف الطبيعة الحقيقية ونطاق البحث الجغرافي.
- رغم أن محاولات ابن خلدون في الجغرافيا السياسية كانت غير محددة، إلا أن "Preston James" يصفه بأنه أول باحث وجه الاهتمام لدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة.

• الفكر الجغرافي - السياسي في عصري النهضة والتنوير.

- شهدت الدراسات الجغرافية في عصري النهضة والتنوير انتعاشاً كبيراً في أوروبا، فقد أصبح الكثيرون من الدارسين والباحثين مهتمين بعلاقة الإنسان ببيئته الطبيعية. ففي مجال الفكر الجغرافي السياسي - بصفة خاصة - هناك ثلاثة أسماء لامعة لها تأثير واضح وكبير هم:

• جان بودين Jean Bodin

- جان بودين "Jean Bodin"، في كتابه "كتب الجمهورية الستة" "Les six Livres de la République"، قدم أفكاراً تسيير على نفس منوال الأفكار الموجودة في كتب أرسطو واسترابو وابن خلدون.
- أشار بودين إلى أن الطابع القومي "national character" للدولة يتحدد أساساً حسب مناخها وطبوغرافيتها.
- البنية السياسية للدولة هي من وظيفة الطابع القومي، وكلاهما يختلف من منطقة إلى أخرى، مصاحباً الاختلافات في البيئة الطبيعية.
- وضع بودين حجر الأساس لنظرية الحتمية الشاملة، حيث أن طبيعة الإنسان ومزاجه ومهارته ورغباته بجانب النظام السياسي الذي يحكمه، ينظر إليهم كجزء من نظام عالمي للعلاقات بين الإنسان والأرض "man-land relationships".

• السير وليم بيتي William Petty

- السير وليم بيتي "William Petty"، كان عالماً واقتصادياً وإحصائياً إنجليزياً بارزاً خلال ذلك العصر.
- نشر كتابه "التشريح السياسي لأيرلندا" "The Political Anatomy of Ireland"، حيث فحص فيه الأسس الإقليمية والديموقراطية لقوة الدولة البريطانية في أيرلندا.
- طور بيتي هذه الأفكار أكثر في كتابه الثاني "مقالات في الحساب السياسي" "Essays in Political Arithmetic"، الذي نشر بعد وفاته، وأنتج فيه نظريات وآراء حول مجال نفوذ الدولة ودور مدن العاصمة، وأهمية المسافة في تحديد نطاق امتداد النشاط البشري.
- أبرز بيتي اهتمامات العديد من الجغرافيين السياسيين فيما بعد، ولكن ما كتبه كانت أعمالاً للمعرفة الفردية الشخصية "polymaths" والتي لم تقف في إطار متماسك في حقل "الجغرافيا السياسية".

• تشارلز بارون دو منتسكيو Charles B. De Montesquieu

- تشارلز بارون دو منتسكيو "Charles B. De Montesquieu" ظهر بعد بودين بنحو قرن ونصف، وكان من أكبر مؤيدي النظرية الحتمية.
- بحلول وقت مونتسكيو، كان متاحاً معرفة أكثر منهجية للبيئة الطبيعية للإنسان وتأثيرها على الفيزيوغرافيا البشرية "human physiography".

- استنتج منتسكيو أن سكان مناطق المناخ الحار "warm climate" يفضلون الحكم المطلق (الاستبداد) "despotism" والعبودية "slavery" بينما المناخ البارد يشجع الديمقراطية "democracy" والحرية "freedom".
- اقترح منتسكيو نموذجاً عالمياً للجغرافيا السياسية "a global model of political geography"، والذي يقر بأن الديمقراطية والحرية تميل إلى الزيادة بالبعد عن خط الاستواء "freedom and democracy tend to increase with the distance from the equator".
- حاول منتسكيو أن يوضح الفرق بين التقاليد التاريخية "historical traditions" في أوروبا وآسيا.
- أوروبا، التي تقع تقريباً بأكملها في النطاق المناخي المعتدل والبارد، تعتبر قارة حرة من الدول صغيرة إلى متوسطة الحجم.
- آسيا، التي تقع تماماً خارج الحزام المعتدل، كانت السلطة فيها دائماً مستبدة ذات حكم مطلق، وكانت الإمبراطوريات الكبيرة للسكان المستعبدين هي القاعدة العامة فيها.
- وفقاً لمنظور منتسكيو، فإن كلا من قارتي أفريقيا وأمريكا يقعان في نفس الفئة التي فيها قارة آسيا.
- أوروبا وحدها - بما تتمتع به من مناخ وموقع جغرافي - هي قارة من الأمم الحرة "continent of free nations".
- تشالز بارون دو منتسكيو "Charles B. De Montesquieu"، رغم أفكاره حول العلاقة السببية الوثيقة بين المناخ والحرية السياسية أو العبودية، كان في الواقع بعيداً عن الحتمية الفجة.
- حاول "K. M Kriesel" إثبات أن منتسكيو كان يعتقد بأنه على الرغم من أن العوامل البيئية الطبيعية لها تأثير عميق على السلوك السياسي "political behavior" للإنسان، إلا أن الإنسان يستطيع، عبر فهمه المتقدم لقوى الطبيعة، معالجة قوى البيئة الطبيعية لصالحه.
- أقر أيضاً بوجود علاقة وثيقة بين شكل الحكومة "government form" والإنتاجية الزراعية "agricultural productivity".
- ظن (منتسكيو) أن السهول الخصبة ذات الخصوبة الزراعية العالية تفضل نمو الإمبراطوريات الكبيرة، في حين أن المناطق الأقل خصوبة في الجبال والتلال تعزز مشاعر الاستقلال والتوق إلى الحرية.
- لاحظ أن درجة/مستوى الزراعة في أي منطقة هي من وظيفة الحرية (أي العملية السياسية وليس مجرد خصوبة التربة (أي نوعية البيئة الطبيعية)).
- هذا يدل على أنه على النقيض من المفكرين الحتميين الآخرين في عصره، أكد منتسكيو أن طبيعة العملية السياسية في منطقة معينة (أكثر من الأرض وحدها) كانت عاملاً حاسماً الأهمية في تنميتها الاقتصادية الزراعية.

- الجغرافيا الساسية الحديثة (راتسل واسهاماته)
- المؤثرات العلمية في البناء الفكري لراتسل
- نظرية دورة نمو الثقافات Theory of the cultures growth cycle
- كارل ريتير (K. Ritter)
- كارل ريتير (K. Ritter) هو جغرافي ألماني ظهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر وكان من الرواد المساهمين في مجال الجغرافيا السياسية.
- ريتير قدم أطروحة أن الثقافات الإنسانية هي كيانات عضوية تولد وتصل للنضج بمرور الزمن وفي النهاية تموت، وهذا بالتمثال مع الكائنات الحية في العالم الطبيعي. هذه الفكرة تعبر عنها العبارة الإنجليزية "reach human cultures are organic entities which are born and eventually die maturity over time".
- طور ريتير نظرية دورة نمو الثقافات (Theory of the cultures growth cycle)، التي تقول أن الثقافات تولد وتنمو وتصل إلى مرحلة النضج ثم تضمحل.
- ريتير اعترف بالتوازي بين الظروف الثقافية والبيئية.
- بالأخذ في الاعتبار كلا المتغيرين، البيئة الطبيعية التي تتغير من مكان لآخر، ومرحلة التطور لكل ثقافة، استطاع ريتير أن يقدم هيكلًا راقياً للنظرية أكثر من سابقه.
- ملاحظات وأراء ريتير عن طبيعة الثقافة والدول كانت طبيعة سببية نابعة من اهتمامه الرئيسي بالتاريخ الثقافي للأماكن.
- هذا يتفق مع الفيلسوف الألماني هيردر (Herder) الذي دافع عن ضرورة تفسير التاريخ في إطار موقع الأشخاص الذين صنعوه، أي في إطار خصائص المكان الذي يقطنه الأشخاص.
- نظرية التطور Theory of evolution
- تشارلز داروين (C. Darwan)
- نظرية التطور، التي محورها عملية الاختيار الطبيعي (process of natural selection)، تمثل أهم أفكار تشارلز داروين (C. Darwan) في العلوم البيولوجية لتطور الكائنات الحية.
- تشارلز داروين (C. Darwan) هو عالم بيولوجيا معروف بأفكاره حول تطور الكائنات الحية.
- داروين قدم نظرية التطور (Theory of evolution) التي تركز على عملية الاختيار الطبيعي (process of natural selection) كمحرك رئيسي لتطور الأنواع.
- راتسل، الذي كان يدرس علم الحيوان والتشريح قبل دراسته لعلم الجغرافيا، تأثر كثيراً بنظرية داروين البيولوجية في أفكاره وآرائه الجغرافية.

• الدارونية الاجتماعية (Social Darwinism)

• هربرت سبنسر (H. Spenser)

- الدارونية الاجتماعية (Social Darwinism)، المعروفة أيضًا باللاماركية الجديدة (neo-Lamarckism)،
- الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر (H. Spenser) هو من قدم هذه النظرية.
- سبنسر هو واحد من أبرز العلماء الذين قاموا بتطبيق أفكار داروين ونظريته على المجتمعات البشرية.
- سبنسر أوضح التشابه بين المجتمعات البشرية والكائنات الحية من حيث التطور وعملية الانتقاء الطبيعي (process of natural selection).

- سبنسر هو من صاغ جملة أو مقولة “البقاء للأصلح” (survival of the fittest) في المجال الاجتماعي.
- راتسل انجذب بشدة لأفكار سبنسر، خاصة تلك المرتبطة بنظرية الدولة.

• نظرية راتسل في الجغرافيا السياسية (نظرية الدولة كائن حي)

• هربرت سبنسر (H. Spenser):

- هربرت سبنسر (H. Spenser): الفيلسوف البريطاني الذي قدم نظرية الدارونية الاجتماعية (Social Darwinism) واللاماركية الجديدة (neo-Lamarckism).
- تطبيق أفكار داروين: سبنسر كان واحدًا من أبرز العلماء الذين قاموا بتطبيق أفكار داروين ونظريته على المجتمعات البشرية.
- التشابه بين المجتمعات البشرية والكائنات الحية: سبنسر أوضح التشابه بين المجتمعات البشرية والكائنات الحية من حيث التطور وعملية الانتقاء الطبيعي (process of natural selection).
- “البقاء للأصلح” (survival of the fittest): سبنسر هو من صاغ هذه المقولة في المجال الاجتماعي.
- نظرية الدولة: راتسل انجذب بشدة لأفكار سبنسر، خاصة تلك المرتبطة بنظرية الدولة.
- في كتابه “Politische Geographie”، عرف راتسل الدولة بأنها كائن حي مرتبط بالأرض.
- الدولة ككائن حي: راتسل أكد أن الدولة، مثل الكائنات الحية الأخرى، تمر بعملية تطورية خلال حياتها. إما أن تنمو أو تتلاشى وتموت. الدولة بطبيعتها لا تستطيع أن تظل ساكنة.
- نظرية الدولة العضوية: راتسل كتب مؤكدًا أن الدولة القوية يجب أن يكون لها حيز مكاني للنمو لكي تستطيع البقاء. توسيع حدود الدولة على حساب جيرانها هو دلالة على قوتها الداخلية وحاجاتها المتزايدة للنمو كنتيجة لنمو سكانها.
- الحدود كنطاقات استيعاب: الحدود عند راتسل ليست خطأ، بل هي نطاقات استيعاب (assimilation zones).

- الدولة كتجميع مكاني: الدولة هي نوع من التجميع المكاني (spatial grouping) على سطح الأرض، وهي كائن مرتبط بالأرض (earthbound organism)، يتكون من جزء بشري وجزء أرضي.
- التوسع الجغرافي والسياسي: راتسل كتب قائلاً "إن التوسع الجغرافي والسياسي له جميع الخصائص المميزة للجسم في حركته، الذي يتمدد وينكمش تقدماً وتراجعاً، والغرض من هذه الحركة (التوسع) دائماً هو غزو المكان بهدف تأسيس الدول".
- وخلص راتسل إلي أن هناك ثلاثة عوامل اعتقد أنها تحكم نمط الدولة ونموها ككائن مكاني حي وهذه العوامل هي:
- (1) الطابع الاقليمي territorial character للدولة، فكل وحدة سياسية تحتل إقليم محدد، لذا فهي كائن مكاني له موقع محدد، يُنظر إليه من منطلق موقعه الطبيعي بالنسبة للدول relative location وموقعه النسبي ، physical location الأخرى ومراكز القوة السياسية.
- (2) طابع الولاء أو الارتباط loyalty character للدولة، فالدولة عبارة عن مجموعة الأفراد الذين يشعرون بعدم الانفصال عن الأرض التي تشكل موطنهم، ويزدادون في العدد مع وصول الدولة إلي حالة النضج.
- (3) الطابع التطوري evolutionary character للدولة، حيث تنمو الدولة في حدود اطارها الطبيعي ، بادئة من خلية أرضية صغيرة territorial cell، تسمى النوية الاقليمية territorial nuclei أو الخلية الجنينية germinal cell للدولة، حيث تتمدد منها الدولة مع زيادة قوتها لتتوسع في حدودها وتكون الدولة في صورتها النهائية.
- في كتابه، كتب راتسل عن العلاقة بين الدولة والمجال الجغرافي.
- زيادة السكان: مع زيادة السكان بالدولة، يزداد سعيهم في البحث عن مكان أكبر لتوفير احتياجاتهم.
- صراع مع الدول المجاورة: ينتج عن هذا السعي والبحث صراع مع الدول المجاورة، حيث تقوم الدولة الأقوى بالحصول على مساحة أكبر على حساب جيرانها الضعفاء.
- قانون البقاء للأصلح: ما يحدث بين الدول هو نفس ما يحدث بين الكائنات الحية، حيث يعيش القوي على حساب الضعيف. يُطلق على هذا بيولوجيا "قانون البقاء للأصلح" (law of survival of the fittest)، ويمكن أن يُطلق عليه جغرافياً "قانون البقاء المكاني" (law of spatial survival).
- المجال الحيوي: راتسل حدد نوعين من المجال الحيوي (lebensraum) للمجموعات البشرية: المجال الحيوي العام (general lebensraum) والمجال الحيوي الطبيعي (natural lebensraum) الذي يمثل موئل (مسكن) طبيعي بيولوجي.

- الجيوبولتيكا الألمانية: هذه الفكرة مثلت فيما بعد أساس الجيوبولتيكا الألمانية، من خلال مفهوم وفكرة المجال الحيوي (living space) الذي يقابله في الألمانية lebensraum والتي قصد بها راتسل المساحة الجغرافية التي تتطور داخلها الدول بوصفها كائنات مكانية حية.

• قوانين النمو المكاني للدول:

- وضع راتسل ما أطلق عليه قوانين النمو المكاني للدول the laws of spatial growth of states في ورقة بحثية نشرت في مجلة Petermanns Mitteilungen، أي قبل نشر كتابه الشهير "الجغرافيا السياسية" بعام واحد تقريباً. وفي هذه الورقة البحثية الشهيرة وفي ضوء دراسة العلاقة بين النمو السكاني والثقافي للدولة، أوضح راتسل سبعة قوانين تحكم نمو الدولة مكانياً، وفيما يلي عرض لهذه القوانين.

1- ينمو حجم (مساحة) الدولة بنمو ثقافتها

The size of state grows with its cultures .

- الدولة تنمو مع نمو النفوذ الثقافي لها.
- الانتشار المكاني للثقافة: يتحقق نمو النفوذ الثقافي للدولة من خلال الانتشار المكاني للغتها أو دياناتها.
- الثقافة وتماسك الأفراد: الثقافة تنتج القواعد والوسائل اللازمة لتماسك الأفراد.
- الترابط الأيديولوجي والسياسي: الترابط الأيديولوجي بين الوحدات الجغرافية يمكن أن يكتمل بترابط سياسي.
- التوسع الجغرافي للدولة: المناطق المتاخمة لحدود دولة ما، والتي يتحدث سكانها نفس لغة هذه الدولة ويعتقدون نفس دياناتها، يمكن أن تمثل امتداداً جغرافياً لهذه الدولة في المستقبل، إذا ما رغبت في التوسع سواء بطرق عسكرية أو دبلوماسية.

2- نمو الدولة يكون تالياً لنمو السكان

The growth of states follows the growth of population .

- راتسل كتب عن العلاقة بين الدولة والمجال الجغرافي.
- زيادة السكان والضغط على الموارد: مع تزايد أعداد سكان الدولة وتزايد ضغطهم على مواردها، يحاول السكان التغلب على الضغط على الموارد عن طريق الهجرة إلى المناطق المجاورة أو عن طريق السفر لرحلات تجارية.
- الفهم والاختلاط بين الأقاليم: هذا السعي والبحث يؤدي إلى زيادة فهم هذه الأقاليم والاختلاط بسكانها، مما يخلق نوعاً من الألفة بين سكان الإقليمين.
- التجارة ووسائل الاتصال: تزداد أواصر هذه العلاقة والتفاهم عن طريق التجارة أو وجود وسيلة اتصال سهلة مثل الأنهار، أو عدم وجود عوائق طبيعية تفصل سكان الإقليمين.

- التأثير السياسي وتطور الدولة: ووفقاً لراتسل، فإن كل طريق تجاري يمهّد الطريق للتأثير السياسي، وكل شبكة من الأنهار توفر التنظيم الطبيعي لتطور الدولة.
- 3- نمو الدولة يتم عن طريق ضم وحدات أصغر للكل

The growth of the state proceeds by the annexation of smaller units into the aggregate.

- راتسل كتب عن العلاقة بين الدولة والمجال الجغرافي.
- عملية الدمج الميكانيكي (mechanical integration): تتطلب التكامل المكاني (spatial integration) الذي ينطوي على حركة واسعة النطاق للأشخاص والسلع بين الوحدات المتكونة.
- الحركة البينية للأقاليم: هذا يزيد من الحركة البينية للأقاليم معززة الوحدة العضوية بينها.
- هيمنة الدول القوية: تزداد هيمنة وتأثير الدول القوية على ما يجاورها من وحدات سياسية أصغر.
- التبعية للدول القوية: تظهر صورة واضحة للتبعية من الوحدات الصغيرة إلى تلك القوية المهيمنة.
- التكتلات الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية: تظهر رغبة شديدة من سكان الوحدات الصغيرة في الدخول مع الدول الكبرى في تكتلات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية.
- الدولة ككائن مكاني: راتسل يرى أن عملية دمج وتجميع الوحدات الإقليمية المتنوعة في كيان عضوي أكبر يتطلب توالد علاقة قوية بين الأرض والسكان عليها.
- الدولة والنبات: يقارن الدولة في نموها فوق مساحة ما من الأرض بعملية النمو الجذري للنبات، حيث تربط الجذور النبات بالأرض ليعيش ويكبر، لذا يمثل ارتباط الأفراد بالأرض التي يعيشون عليها شبيهاً لجذور النبات في التربة.
- الدولة ككيان عضوي: الدولة كيان عضوي تزداد قوته بتزايد ارتباط الأفراد بأرضهم.
- 4- الحدود هي العضو الخارجي للدولة، وهي الحامل لنموها وكذلك تحصينها، وتشارك في جميع التحولات لكائن الدولة.

The boundary is the peripheral organ of the state the bearer of its growth as well as its fortification and takes part in all of the transformations of the organism of the state.

- راتسل كتب عن العلاقة بين الدولة والمجال الجغرافي.
- التوسع الإقليمي (territorial expansion): النمو، أي التوسع الإقليمي للدولة، يجب أن يتضمن التمدد في حدودها.
- حاملات النمو (growth carriers): كل حاملات النمو - ثقافية أو اقتصادية أو سياسية - يجب أن تمر بالضرورة عبر الحدود.

- الاهتمام والمشاركة في العملية: كلما اقتربت هذه الحاملات من الحدود كلما زاد اهتمامها ومشاركتها في العملية.
- نمو الأطراف: كلما كانت الحدود أكبر كلما كان نمو الأطراف أكثر وضوحًا.
- عقد النمو (growth nodes): الدولة التي تمتد نحو المنطقة المرغوبة للتوسع، ترسل في ذات الوقت عقد النمو التي تظهر نشاطاً أكثر من بقية الأطراف.
- شكل الدولة وتوزيع سكانها ووساط القوة الأخرى: هذا يكون واضح في شكل الدولة وفي توزيع سكانها ووساط القوة الأخرى.

5- تسعى الدولة في نموها جاهدة إلى تطوير المناطق ذات القيمة السياسية.

In its growth the state strives towards the development of politically valuable position.

- جميع الدول تختار المنافع الجغرافية في عملية نموها وتطورها السياسي - الإقليمي (Political territorial growth and evolution).

- الدول تحتل المناطق الغنية والخصبة والمواقع ذات الأهمية الاستراتيجية.
- يمكن رؤية هذه العملية بشكل واضح في تاريخ نمو وتوسع المناطق الاستعمارية في العالم الجديد.
- الكيانات السياسية الجديدة تقع على طول البحر وعلى الأنهار والبحيرات وفي السهول الخصبة.
- الأشكال السياسية القديمة يتم دفعها إلى المناطق الداخلية التي لا يمكن الوصول إليها في البداية والأقل رغبة، مثل السهوب والصحاري والمستنقعات والجبال.
- حدث الأمر ذاته في أمريكا الشمالية وسيبيريا وجنوب أفريقيا.
- التوسع والنمو السياسي ينطوي على التحركات المكانية (Spatial movements).
- الدول ترى ميزة في ضم الأقاليم الطبيعية التي تدعم الحركة وتجذبها.
- الدول تسعى جاهدة للوصول للسواحل وتتحرك على طول الأنهار وتنتشر فوق السهول.

6- المحفزات الأولى لنمو الدول تأتي إليهم من الخارج

.The first stimuli to the growth of states come to them from outside

- راتسل كتب أن الدول القديمة لم تتقدم إلا بوجود تأثير خارجي أو أجنبي.
- الأشخاص في موقع السلطة بالأقاليم ذات التصورات المكانية الأكبر (larger spatial conceptions) يحملون فكرة الدولة الأكبر إلى الأقاليم ذات التصورات المكانية الأصغر.
- يوضح الموقع الجغرافي كيفية أن الدول كبيرة المساحة ذات الدولانية - ضئيلة النفوذ (small-statism) قد نمت من الداخل نحو الجانب الأكثر وصولاً إليه.

- هذا ما حدث بالنسبة لتوحيد إيطاليا والولايات المتحدة والسعودية.
- 7-الاتجاه العام نحو الضم والاندماج الاقليمي ينتقل من دولة لأخرى ويزداد شدة باستمرار
- The general tendency toward territorial annexation and amalgamation is transmitted from state to state and continually increases in intensity
- مع زيادة القيمة السياسية للأرض، أصبحت ذات نفوذ سياسي متزايد كمقياس للقوة وغنيمة في نزاعات الدول.
- الدول الأضعف تحاول معادلة الدول الأقوى من خلال الكفاح لغرض الضم والدمج المكاني للأرض.
- الاتجاه الغالب من الدول الصغيرة هو محاكاة الدول الأكبر، ورغبة الدول الكبيرة في معادلة ومساواة الدول الأكبر منها.
- هذا الاتجاه حيوي ويعكس انتقال مجهودات النمو المختلفة بين الدول.
- مثل هذه المحاكاة لا تقتصر على الحجم المكاني، فالدول المتجاورة تختلف فيما يتعلق بمزايا الموضع أو الهبات الطبيعية.
- كندا بسواحلها على الباسيفيكي تنافس الولايات المتحدة في العلاقات والروابط الأطلنطية الباسيفيكية.
- التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية يمثل نموذجاً عملياً واضحاً على انتقال فكرة الضم الإقليمي (territorial annexation) بين الدول.
- التنافس بين إسبانيا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا وألمانيا على ضم المستعمرات يجسد هذا الاتجاه بشكل واقعي.
- “راتسل” له أثر كبير في مجال الجغرافيا السياسية، ويعتبره الكثير من الجغرافيين بأنه أعظم المساهمين في هذا المجال.
- الكثير من أفكار وأراء راتسل تم تعريفها بشكل خاطئ من قبل أناس من خارج الحقل الجغرافي.
- الدارسين الإنجليز اعتمدوا على تفسيرات تلميذة راتسل الأمريكية “إلين سامبل Ellen Semple”.
- راتسل تعرض للنقد الشديد بسبب مفهوم المجال الحيوي الذي أسس استعماله خلال الفترة ما بين الحربين العالمية الأولى والثانية.
- راتسل والجغرافيا السياسية الألمانية تعرضتا للنقد بسبب أنه ألماني وأنه قدم الأفكار الأولى للجيوبوليتيكا.
- النقد اعترضوا على التعميمات المبتسرة لراتسل في تحديد قوانين لتفسير النمو المكاني للدول.
- قوانين النمو المكاني للدول التي كتب عنها راتسل ليست قوانين ضرورة (laws of necessity).
- راتسل أراد أن يشير إلى وجود علاقة تبادلية بين الأفراد والأرض التي يحصلون منها على مواردهم.
- راتسل أرسى فكرة أن الدولة تمر بمراحل خلال تطورها، وهذه المراحل حددتها نظرية فالكنبرج الدورية (valkenburg) بأربعة مراحل هي النشأة ثم الشباب ثم النضج والشيخوخة.

الفصل الثاني

المفهوم والمجال

- الخطوة الأولى لبناء أي تخصص أكاديمي هي تحديد موضوع هذا العلم وتعريفه بشكل واضح.
- الفرنسي آن روبرت تروغو (A.R.Turgot) هو أول من صك مصطلح الجغرافيا السياسية.
- نشأة الجغرافيا السياسية كعلم حديث جاءت مع ظهور كتاب الجغرافي الألماني فردريش راتسل (F. Ratzel).
- هذا العلم الحديث لم يستقر في إطار تعريفي محدد متفق عليه.
- الجغرافيا السياسية وضعت نفسها كفرع مستقل في علم الجغرافيا وموضوعها تتنازع عدة تعريفات.
- الجغرافي الأمريكي R.Hartshorne قام بأول محاولة لتخليص مضمون الجغرافيا السياسية من "نظرية الدولة العضوية".
- التعريفات كثيرة لدرجة أن كل كتاب جديد يصدر في الجغرافيا السياسية يعني إضافة تعريف آخر جديد لهذا الفرع.
- كثرة هذه التعريفات لا تعني بالضرورة وجود اختلافات حقيقية أو جوهرية بينها.
- أسباب تعدد تعريفات الجغرافيا السياسية
- في البداية لا بد من التأكيد على أن علم الجغرافيا السياسية ليس هو العلم الوحيد الذي يعاني من إشكالية التعريف ، بل يشاركه في تلك الإشكالية - ولكن بدرجات متفاوتة - كل العلوم الاجتماعية ، بما فيها بقية فروع الجغرافيا البشرية ذاتها والتي ينتمي لها علم الجغرافيا السياسية .
- فمن المسلمات الأكاديمية المتفق عليها أن العلوم ذات الصلة بالإنسان تتعامل مع ظواهر لا تكشف عن ذاتها ببساطة ويسر ووضوح ، نتيجة لتداخلها في محيط الإنسان ، بحيث يصعب عزل بعضها عن بعض للتعرف على خصوصية كل منها على حدة . لذا يلاحظ تداخل وتشابك موضوعات هذه العلوم ، بل وتشابه طرق معالجتها وأساليب تحليل بياناتها ، ومع ذلك يظل لكل علم من هذه العلوم أهدافه ونتائجه المستقلة الخاصة به.
- ومع التسليم بواقع حقيقة التداخل بين موضوعات العلوم الاجتماعية والارتباطات العلمية المشتركة بينها ، يبقى لعلم الجغرافيا بعض الأسباب أو الظروف الخاصة به ، والتي حالت بينه وبين الاتفاق على تعريف موحد ، يحدد بدقة جوهر موضوعه ويميزه عن غيره من موضوعات العلوم الأخرى .
- نشأة الجغرافيا السياسية بلا تعريف

- كتاب راتسل، الذي يعد أول مرجع علمي حديث في علم الجغرافيا السياسية، لم يقدم تعريفاً دقيقاً للجغرافيا السياسية يحدد جوهر موضوعها بشكل يميزه عن موضوعات العلوم الأخرى.
- الكتاب يتضمن مفاهيم عامة عن العلاقة بين الدولة والأرض، وهذه المفاهيم تحتل التأويل والتفسير وتثير الجدل والخلاف.
- مفهوم الجغرافيا السياسية أصبح عرضة لتفسيرات وصياغات متعددة، وهذا أثر سلباً على تقدم هذا العلم.
- بعض المفكرين السياسيين الألمان استخدموا الجغرافيا السياسية كمبرر للتوسع والعدوان.
- ظهور ترجمات عديدة لكتاب راتسل في المملكة المتحدة UK والولايات المتحدة USA ساهم في تفاقم سوء الفهم للأفكار والمفاهيم والمعاني المتضمنة في الكتاب، خاصةً وأن بعض هذه الترجمات قام بها أناس من خارج الحقل الجغرافي.

• نشأة الجغرافيا السياسية كعلم هجين

- علم الجغرافيا السياسية يصنف ضمن العلوم الهجينة أو البينية (hybrid disciplines or interdisciplines)، وهو نتاج لتزاوج علمي الجغرافيا والسياسة.
- هذا العلم يتأثر بشدة بطبيعة العلمين الأصليين وبكل التغيرات والتطورات التي تطرأ على هذه الطبيعة.
- الجغرافيون لم يتفقوا بعد على تعريف موحد لعلم الجغرافيا، وهذا الواقع ينطبق أيضاً على علم السياسة.
- علم الجغرافيا السياسية، كعلم هجين، يعاني من صعوبة الاتفاق على تعريف موحد لموضوعه، وذلك بسبب اليقين المفقود حول مفهوم موضوع العلمين الأصليين.
- هناك اتجاهات متعددة في تعريف علم السياسة، بعضها يرى أنه علم الدولة (the science of the state)، والبعض الآخر يرى أنه علم السلطة (the science of authority)، بينما يرى الاتجاه الثالث أنه العلم الذي يختص بدراسة السياسة العامة أو الحكومية (the science of studying public or governmental policy).

• اتجاهات مفهوم الجغرافيا السياسية

- هناك سيل من التعريفات التي حظي بها موضوع الجغرافيا السياسية، وإن كثرة هذه التعريفات لا يعني بالضرورة وجود اختلافات جوهرية بينها. ولذلك فإن استعراض هذه التعريفات برمتها لن يكون مجدياً إلا بتصنيفها وفقاً لاتجاهات رئيسة، يتمحور حولها مفهوم الجغرافيا السياسية. وسيلاحظ القارئ من خلال متابعته لهذه الاتجاهات، مدى الارتباط بينها وبين التغيرات التي طرأت على المفهوم العام لعلمي الجغرافيا والسياسة. وكما أن هذه الاتجاهات تعبر عن مفهوم الجغرافيا السياسية، فإنها أيضاً تصلح لكي تكون بياناً لتطور هذا العلم عبر مسيرته من النشأة وحتى كتابة تلك السطور.

- وفيما يأتي دراسة لهذه الاتجاهات بالتفصيل :

• أولاً: الجغرافيا السياسية كعلم لدراسة الأبعاد المكانية لسياسة القوة

Political geography as a science to study spatial dimensions of the power politics

- هذا المفهوم يعد أقدم الاتجاهات التي تمحور حولها مفهوم الجغرافيا السياسية، خاصة في الربع الأول من القرن العشرين، والذي ارتبط خلاله مفهوم الجغرافيا بالعلاقة بين الأرض والإنسان (man-land relation).
- القوة هي مفهوم محوري في الجغرافيا السياسية، لأن الدولة تعتمد عليها كأسلوب للتعامل مع الدول الأخرى.
- هذا الاتجاه المفاهيمي يرتبط بماهية موضوع الجغرافيا السياسية عند راتسل، والتي تنحصر في إطار العلاقة بين الدولة (State) والإقليم (territory) الذي تشغله.
- موضوع الجغرافيا السياسية عند راتسل قد انحصر في دراسة الأبعاد المكانية لقوة الدولة.
- الجغرافيا السياسية عند راتسل تركز على دراسة العلاقة بين الدولة والإقليم، للوقوف على مدى الإمكانيات الإقليمية (territorial potential) المتاحة لتعزيز قوة الدولة.
- أفكار راتسل فيما يخص القوة الوطنية كانت مركزة على القوة المادية (hard power).
- قوة الدولة هي مفهوم ديناميكي وغير ثابت، وتتكون من عدد كبير من العناصر المتغيرة سواء المادية أو غير المادية.
- مفهوم قوة الدولة في الجغرافيا السياسية يتألف من جانبين: القوة كموارد (power as resources) والقوة كسلوك (power as behavior).
- امتلاك الموارد وحده غير كاف لتحقيق أهداف ومساعي الدولة، ومن هنا تأتي أهمية مفهوم تحويل القوة (power conversion)، وهو يعني قدرة الدولة على تحويل الموارد المتاحة لها إلى قوة يتم استخدامها في تحقيق الأهداف المرجوة عن طريق وجود استراتيجية فعالة وإدارة سياسية ماهرة.
- القوة التي تحوزها الدولة تنقسم إلى ثلاثة أنواع: القوة الصلبة (hard power)، القوة الناعمة (soft power)، والقوة الذكية (smart power).
- القوة الصلبة تتعلق بالقوة المادية وتشمل السكان والإقليم والموارد الطبيعية والاقتصادية والإمكانات العسكرية.
- القوة الناعمة تتعلق بالقدرة على تحقيق المصالح عن طريق الإعجاب أو الإقناع وتشمل الأفكار والقيم والثقافة.
- القوة الذكية هي مفهوم جديد للقوة يتضمن الجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة في خلق قوة حقيقية فعلية للدولة.
- في السياق العالمي الجديد، هناك ضرورة ملحة لصياغة سياسة خارجية شاملة تجمع أدوات القوة الصلبة والناعمة.
- سياسة الولايات المتحدة لاحتواء الاتحاد السوفيتي في فترة الحرب الباردة يمكن اعتبارها نموذجاً للقوة الذكية.

- في عصر تكنولوجيا المعلومات، سياسة القوة تعتمد على امتلاك الموارد وليس فقط الجيوش القوية.
- الموارد تشمل الثقافة (الأدب، الفن، التعليم)، القيم والسياسات المحلية (الديموقراطية، حقوق الإنسان)، والسياسات الخارجية (التنمية الاقتصادية، المنح، المساعدات الدولية، مكافحة الإرهاب، نشر السلام).
- الجغرافيون مثل هالفورد ماكندر (H. Mackinder)، جيمس فير جريف (J. Fairgrieve)، تشارلز فوست (Charles Fost)، واسحق بومان (Isaac Bowman)، درسوا البعد المكاني لسياسة القوة.
- هؤلاء الجغرافيون ركزوا على دراسة القوة الصلبة ولم يحددوا تعريفاً محدداً للجغرافيا السياسية.
- اهتمام هؤلاء الجغرافيون انصرف إلى دراسة الأبعاد المكانية لسياسة القوة التي تنبع من حاجة الدول إلى النمو والتوسع.
- الدول تعتبر وحدات مساحية متجانسة تشترك في وحدة الفكر (الدولة العضوية) ووحدة الوظيفة (النمو والتوسع).
- الجغرافيا السياسية هي العلم الذي يتناول الأبعاد المكانية لسياسة القوة التي تحوزها الدولة بكل صورها (القوة الصلبة، القوة الناعمة، القوة الذكية)، وذلك لتحقيق الأهداف المكانية المرغوبة للدولة.
- **ثانياً: الجغرافيا السياسية كعلم لدراسة المساحة المنظمة سياسياً**

Political geography as a science to study the politically organized-area

- المفهوم الإقليمي للجغرافيا، الذي طرحه ألفريد هنتنر (A. Hettner)، يعرف الجغرافيا بأنها العلم الذي يهتم بدراسة المساحات المكانية بوصفها أقاليم خاصة متميزة.
- هذا الاتجاه يتفق مع المفهوم التقليدي لعلم السياسة الذي ينص على أنه العلم الذي يختص بدراسة الدولة، وذلك على اعتبار أن الدول مساحات لها نظمها وقوانينها الأساسية.
- تحت مظلة هذا الاتجاه، تمحور مفهوم الجغرافيا السياسية حول دراسة الدول كوحدات مساحية خاصة أو متميزة، وذلك على أساس أن المظاهر الجغرافية لسطح الأرض تتباين من مكان إلى آخر.
- لا توجد على سطح الأرض دولتان متماثلتان تماماً في السمات والخصائص الجغرافية.
- مجال الدراسة في علم الجغرافيا السياسية قد انحصر في دراسة خصائص البيئة الطبيعية والبيئة البشرية للتعرف على الملامح والسمات التي تميز الدولة وتجعل منها نمطاً فريداً وحالة خاصة بين الدول.
- الجغرافي الأمريكي ريتشارد هارتشورن (R. Hartshorne) هو أحد الجغرافيين البارزين الذين ناصروا فكرة الدولة الخاصة أو المتفردة كمحور للدراسة في علم الجغرافيا السياسية.
- هارتشورن عرف الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يختص بدراسة الدولة كوحدة مساحية متميزة، في إطار علاقاتها المتبادلة مع غيرها من المساحات المتميزة الأخرى.

- على درب هارتشورن، سار عدد كبير من علماء الجغرافيا، منهم ديورنت وتلسي (D. Whittlesey)، أيجرت (H. Weigert)، ألكسندر (N. Pounds)، نورمان نوبلز (L. Alexander).
- مصطلح المساحة المنظمة سياسيًا (political-organized area) ينطبق على الدول ذات السيادة (sovereign states)، وأيضًا على التكتلات الإقليمية - السياسية (regional-political blocs) مثل الاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية.
- المصطلح ينطبق أيضًا على المناطق التي تقل عن مستوى الدولة مثل الأقسام الإدارية (administrative departments) كالمحافظات والأقضية والمراكز، ومناطق الحكم الذاتي وغيرها من الوحدات المكانية التي تضم جماعات من البشر يستقرون داخل مساحات معينة من الأرض.
- مصطلح المساحة المنظمة سياسيًا يتألف من ثلاثة عناصر أساسية: الحكومة (government)، الشعب (folk)، والإقليم (territory). الدولة تمتاز بعنصر رابع هو السيادة (sovereignty)، التي تتيح للحكومة سلطة مستقلة ومطلقة في فرض إرادة الدولة في الداخل والخارج.
- السيادة هي أعلى درجات السلطة وهي المعيار الحقيقي للدولة. الإقليم هو وعاء السيادة (territory is the vessel of sovereignty).
- الدولة ذات السيادة أو الدولة الإقليمية (territorial states)، تعد أكثر المساحات السياسية تنظيمًا وتميزًا في تكوينها وسلوكها.
- بعض الجغرافيين يعتبرون الدولة الإقليمية هي جوهر موضوع علم الجغرافيا السياسية ووحدة تحليله الرئيسة.
- الجغرافي Valkenburg يعرف الجغرافيا السياسية بأنها جغرافية الدول (political geography is the geography of states).

• ثالثًا : الجغرافيا السياسية كعلم لدراسة الخصائص المكانية للعملية السياسية

Political geography as a science to study the spatial attributes of the political process

- هذا الاتجاه جاء مواكبًا لاستجابة العلوم المختلفة لنظرية النظم أو الأنساق العامة (general system theory) التي طرحها عالم الأحياء فون بيرتلانفي (Bertalanffy).
- نظرية النظم العامة أبرزت قيمة وأهمية التحليل السلوكي في البحث العلمي.
- تحت مظلة نظرية الأنساق العامة، استطاع علماء الجغرافيا دراسة المكان (place) أو الإقليم (region) كنظام (system) يتكون من مجموعة ظواهر طبيعية وبشرية مترابطة ومتفاعلة.
- يعرف هذا النظام جغرافيًا بالنظام المكاني (spatial system)، والعلاقات التفاعلية التي تتم بين الظواهر المكونة لهذا النظام بالعملية المكانية (spatial process) أو التفاعل المكاني (spatial interaction) التي ينتج عنها اللاندسكيب (landscape).

- التدخلات البشرية في تعديلات اللاندسكيپ - سواء كانت إيجابية أو سلبية - تعرف بالتغذية العكسية (feedback).
- في إطار نظرية الأنساق العامة، استطاع علماء العلوم السياسية دراسة الحياة السياسية كنظام مركب من مجموعة مؤسسات وقوى مترابطة.
- يعرف هذا النظام سياسيًا بالنظام السياسي (political system)، وحركة التفاعل القائمة بين مكونات هذا النظام بالعملية السياسية (political process).
- عناصر النظام السياسي تتمثل في المؤسسات الحكومية - التشريعية والقضائية والتنفيذية - بالإضافة إلى القوى المجتمعية مثل الأحزاب السياسية (political parties) وجماعات الضغط (pressure groups) والجمعيات الأهلية (NGOs).
- العملية السياسية هي العملية التي يقوم بها النظام السياسي لتحويل مطالب وتهديدات البيئة التي يعمل بها إلى قرارات وسياسات ومتابعة ردود الأفعال المترتبة على تنفيذها، وهو ما يعرف بالتغذية العكسية.
- النظام السياسي يشكل الآلية لصنع القرار السياسي، وهو الوعاء التنظيمي الذي تتم في إطاره عملية اتخاذ القرار السياسي.
- توزيع السلع العامة (public goods) على مستوى الدولة واتخاذ القرارات التي تمنح أو تمنع هذه السلع يمثل جوهر العملية السياسية والوظيفة الأساسية للنظام السياسي.
- السلع العامة تشمل المدارس، الجامعات، المستشفيات، مراكز الشرطة، مراكز الإطفاء، مراكز الاتصالات، رصف الشوارع وغيرها.
- علماء الجغرافيا السياسية يدرسون التأثير المتبادل بين العملية السياسية والبيئة الجغرافية، التي تمثل أحد عناصر البيئة العامة التي يعمل بها النظام السياسي.
- النظام السياسي يتأثر بالقيود والضوابط التي تفرضها البيئة الجغرافية، وبالفرص والإمكانات التي توفرها، ويؤثر فيها بالقرارات والسياسات التي يتخذها.
- الجغرافيون يصفون النظم السياسية بأنها آليات لحل الصراع بين السكان من أجل السلع العامة، ويكون الحل تنفيذياً داخل الحيز المكاني.
- القرارات التي يتخذها النظام لحل الصراع المكاني على السلع يمكن وصفها بأنها قرارات تحكيمية مكانية يفرضها النظام بشأن توزيع السلع العامة على مستوى إقليم الدولة.
- النظام السياسي القائم على السلطة يستطيع توزيع السلع العامة (public goods) مكانياً عبر وضع تنظيم مكاني للتوزيع.

- يتم تحديد وترتيب المناطق الفرعية وفقاً لأولوية الحاجة من السلع العامة، ثم يتم توزيع هذه السلع على المناطق.
- هذه العملية تُعرف بالعملية المكانية - السياسية (spatial-political process).
- التنظيم المكاني لمنطقة التوزيع، أو ما يعرف بمنطقة الفعل السياسي (political action area)، يعد أداة تساعد النظام على تحقيق أكبر قدر من العدالة المكانية (spatial justice) بين كافة مناطق إقليم الدولة فيما يخص توزيع السلع العامة.
- ولكي يقوم النظام بتنفيذ هذه العمل فإنه يتبع الخطوات التالية :
- أ- تعبئة الموارد resource mobilization - المادية والبشرية - التي يحوزها النظام في بيئته المحلية الموجود فيها أو بيئته الخارجية المرتبط بها ؛ وتمثل المعونات والضرائب والخدمة العسكرية أكثر وسائل التعبئة شيوعاً في كل النظم .
- ب -توزيع distribution السلع العامة علي المناطق (الأقسام الفرعية التي تم تقسيم منطقة الفعل السياسي إليها وفقاً لأولوية الحاجة من السلع.
- ت -إعادة توزيع redistribution السلع علي المناطق الفرعية في حالة عدم الرضا عن التوزيع الذي أقرته السلطة ، وذلك من خلال التغذية العكسية feedback .
- خلال مرحلة الثورة السلوكية في العلوم الاجتماعية وما بعدها، تركزت الجغرافيا والسياسة على دراسة العمليات والتفاعلات بين عناصر النظم المكانية السياسية.
- الجغرافيا السياسية شهدت خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين تطوراً في المفاهيم التي جعلت من مدخلات ومخرجات العملية المكانية السياسية محوراً لهذا العلم.
- تمحورت هذه المفاهيم حول دراسة البيئة الجغرافية كجزء من البيئة العامة التي يعمل بها النظام السياسي، والتأثير المتبادل بينهما.
- دراسة التفاعل بين العملية السياسية والمكان، أو دراسة الخصائص المكانية (spatial attributes) للعملية السياسية، أصبحت محوراً لمفهوم الجغرافيا السياسية.
- هذا المفهوم تم تبنيه من قبل اتحاد الجغرافيين الأمريكيين Glassener & de Blij وتم طرحه في دراسة Cohen & Rosenthal.

• رابعاً: الجغرافيا السياسية كعلم لدراسة سياسة النظام العالمي الجديد

Political geography as a science to study the politics of the new world order

- هذا الاتجاه يواكب اهتمام علماء الجغرافيا والعلوم السياسية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بالقضايا والموضوعات ذات الصلة والأبعاد العالمية، مثل الإرهاب (terrorism)، تقسيم العمل الدولي (international labor division)، الشركات المتعددة الجنسيات (transnational corporations)، البيئة، والهجرة.
- هذا الاهتمام ارتبط بظاهرة العولمة (globalization) ومفاهيمها الاقتصادية والسياسية والثقافية، التي بدأت في التشكيل منذ سبعينيات القرن العشرين.
- ظهور أول صورة جامعة شاملة لكل كوكب الأرض بواسطة مركبة الفضاء أبولو، عُدت رمزاً لوحدة كوكب الأرض.
- **1- النظام العالمي world order.**
- موريس أيسست Maurice East يعرف النظام العالمي بأنه مجموع أنماط التفاعلات والعلاقات بين الفاعلين السياسيين.
- أي تغييرات تحدث في أي جزء من النظام تؤثر في بقية الأجزاء الأخرى.
- النظام العالمي يشير إلى نسق واحد يقوم على الاعتماد المتبادل interdependence بين وحداته السياسية (الدول).
- النظام العالمي يمثل البيئة التي تنتم فيها العلاقات الدولية.
- مع انتهاء كل مواجهة بين دول كبرى تظهر تحولات رئيسة في توزيع القوة والقواعد التي تحكم التفاعلات الدولية.
- القاعدة الأساسية للنظام العالمي هي: "قاعدة تعدد الدول في إطار عالمي مكون من عناصر متباينة ومتناقضة".
- الهدف من النظام العالمي هو ترسيخ نوع من العلاقات بين الدول لتخفيف النزاعات disputes وتصيبت مظاهر الصراع conflict.
- العمل على إيجاد أسس للتعاون الدولي المتبادل والقائم على المصلحة العامة لكل مكونات النظام وليس لأحد أفراد فقط.

• **2- التغير العالمي Global change.**

- خلال الربع الأخير من القرن العشرين، شهد العالم تحولات جذرية أدت إلى تأسيس نسق عالمي جديد .new world order
- هذه التحولات أدت إلى إلغاء الثوابت والتفاعلات الدولية القديمة وتأسيس قواعد ومفاهيم وعلاقات جديدة.
- تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدى إلى ارتباط وتفاعل العالم بشكل أكبر، مما جعله وحدة واحدة متكاملة أو "قرية كونية صغيرة".
- هذه الوحدة الزمانية المكانية temporal-spatial unity أو "انضغاط الزمن والفضاء"، يطلق عليها "موت الجغرافيا" geography death وفقاً لتعبير E. Murray.
- بعض الناس يطلقون على هذه الحقبة "عصر تكنولوجيا المعلومات" أو "عصر مجتمع المعلومات".
- شبكة المعلومات الدولية تعد رمزا للصناعة المعلوماتية informatics ولهذا النظام العالمي الجديد.
- حكومات العالم الأول والعالم الثالث التقت في مفاوضات عالمية، أولها كانت في منتجع كانكون Cancun على ساحل المكسيك، والثانية في ريو دي جانيرو بالبرازيل ووصفت بـ "قمة الأرض"، والثالثة في جوهانسبرج بجنوب إفريقيا.
- 3- تحول الرأسمالية capitalism إلى نظام عالمي مهيمن في ظل مجموعة من المتغيرات التي شهدها العالم ، ويمكن ايجازها فيما يلي:
- الرأسمالية capitalism تحولت إلى نظام عالمي مهيمن بفضل مجموعة من المتغيرات.
- الانتشار العالمي لمط الإنتاج الرأسمالي، خاصة مع تزايد الارتباط بين قوى الإنتاج في مناطق العالم المختلفة والنظم والمؤسسات الرأسمالية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية.
- بناء نظام تجاري عالمي يقوم على مبدأ حرية التجارة الدولية ووحدة السوق العالمي. وتم تأسيس منظمة التجارة العالمية WTO للرقابة وإدارة هذا النظام.
- زيادة دور المؤسسات الرأسمالية العالمية في توجيه السياسات الدولية، على حساب الدولة التي تراجع دورها كفاعل أساسي. المؤسسات الرأسمالية العالمية الرئيسة تتمثل في البنك الدولي WB وصندوق النقد الدولي IFM.
- الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات لها دور كبير في توجيه السياسات الدولية، وتتميز بطابعها الاحتكاري الذي يسيطر على جزء كبير من حركة التجارة العالمية ورؤوس الأموال في الأسواق والبنوك الكبرى.
- في ظل استمرار الشركات في آلية عملها القائمة على تفريغ السيادة الوطنية والحدود الدولية من مضمونها، سوف يتحول العالم ليصبح مجرد شبكة من المدن العالمية المترابطة world-cities network.
- 4- تحول نظام العلاقات الدولية من نظام الثنائية القطبية bipolar .

- تحول نظام العلاقات الدولية من نظام الثنائية القطبية bipolar إلى نظام الأحادية التعددية القطبية uni-multipolar، وهو ما يُعرف بالتنظيم العالمي الجديد الذي تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالوصاية عليه.
- هذا التحول نتج عن عدد من التغيرات الجيوبوليتيكية المتلاحقة، بما في ذلك:
- انهيار الشيوعية في أوروبا، مع تطبيق سياستي الإصلاح (البريسترويكا) والشفافية (الجلاسنوست) في الاتحاد السوفيتي.
- انتهاء الحرب الباردة cold war بين المعسكرين الشرقي والغربي، وهو تاريخ سقوط حائط برلين.
- إعادة توحيد ألمانيا بعد انقسام دام نصف قرن.
- انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه إلى خمس عشرة دولة مستقلة، حيث صوت برلمان كل من ليتوانيا ولاتفيا لصالح الاستقلال عن الاتحاد. في الوقت الذي شهد فيه العالم اضمحلال قوة عظمى واختفائها من خريطة العالم، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحقق أكبر قدر من النجاح والانتشار كقوة عظمى وحيدة في العالم.
- **5- تبني منظمة حلف شمال الأطلسي (NATO) مفهوماً جديداً للأمن.**
- منظمة حلف شمال الأطلسي (NATO) اعتمدت مفهوماً جديداً للأمن يتيح لها التصدي لجميع الأخطار التي قد تهدد أمن واستقرار ومصالح الدول الأعضاء في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الإرهاب، التخريب، الجريمة المنظمة، وإعاقة تدفق الموارد الحيوية مثل النفط والغاز.
- المفهوم الجديد للأمن في استراتيجية الناتو يتضمن مواجهة النزاعات الإقليمية المسلحة، والتصدي لانتشار الأسلحة النووية (1) والبيولوجية والكيميائية (2).
- بموجب هذه الاستراتيجية الجديدة التي أقرها مجلس الناتو، أصبح الحلف يتمتع بسلطات تسمو فوق سلطات الحكومات، مما يرقى به إلى مستوى الحكومة العالمية التي تتولى إدارة التنظيم الجديد، الذي أنشئ بعد انهيار المعسكر الشرقي، خاصة بعد أن قام الحلف بتوسيع عضويته ليشمل دول وسط وشرق أوروبا.
- **الجغرافيا السياسية والنظام العالمي**
- الأحداث والتحولات التي شهدتها الساحة العالمية في الربع الأخير من القرن العشرين أدت إلى تغيير توجهات الباحثين والعلماء، حيث أصبحت النظرة الكلية للعالم world-outlook هي المسيطرة.
- عالم الاجتماع الأمريكي إيمانويل وليمستين Wallerstein قدم مقترح النظم العالمية - world systems approach كإطار نظري لتفسير ظاهرة التطور غير المتكافي للمجتمعات.
- الجغرافيون بدأوا في دراسة الدولة كجزء لا يتجزأ من النظام العالمي الذي تهيمن عليه الرأسمالية، أو ما يعرف بنظام الاقتصاد العالمي world economy system.

- الضعف الذي أصاب الإمبراطورية البريطانية وتدهور أوضاعها منذ أواخر القرن التاسع عشر، يرجع إلى التغير الذي طرأ على النظام العالمي وليس إلى ظروف وأسباب داخلية تتعلق بظروف بريطانيا نفسها.
- عالم الجغرافيا البريطاني الشهير بيتر تيلور Peter Taylor يرى أن سياسة النطاق الجغرافي الكبير - أي النظام العالمي - تمثل جوهر اهتمام علم الجغرافيا السياسية. وعليه يفهم أن النظام العالمي هو وحدة التحليل الرئيسة في الجغرافيا السياسية، وليس نظام الدولة كما كان الحال من قبل.
- ولهذا ينبغي توضيح ماهية سياسة النظام العالمي الجديد والهيكلية المكانية لاقتصاد هذا النظام كما يلي:
- أنظريات الاقتصاد السياسي ونظريات العلاقات الدولية تنظر إلى النظام الرأسمالي العالمي، الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية، بأنه يمثل مرحلة جديدة من مراحل الهيمنة التي مارستها القوى الرأسمالية الأوروبية.
- الاستعمار colonialism التقليدي يعتمد على استخدام القوة الصريحة overt power، بينما سياسة النظام العالمي الجديد تعتمد على دمج الشعوب في السوق الرأسمالية العالمية، وهو ما يعرف بالاستعمار الجديد neo-colonialism.
- الاستعمار الجديد يعتمد على استخدام القوة المستترة covert power ولا يمس استقلال الشعوب وسيادتها على أراضيها من الناحية الرسمية.
- العمليات الجيو اقتصادية geo-economic processes، مثل المعونات الاقتصادية والمساعدات الفنية والتجارة الحرة، تمثل الأداة الرئيسة التي تستند عليها الدول الرأسمالية المتقدمة في فرض هيمنتها على الدول الآخذة في النمو والدول المتخلفة.
- في ظل المنافسة الحرة داخل السوق العالمي الموحد، يصير البقاء للأصلح، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مبدأ الدروانية الجيو اقتصادية geo-economic Darwinism.
- الاستعمار الجديد يمكن وصفه بأنه استعمار التجارة الحرة، أو free trade-colonialism.
- ب- سياسة تحرير التجارة الدولية هي الأداة التي يعتمد عليها نمو الاقتصاد الرأسمالي العالمي.
- إيمانويل وليرستين قدم نموذج القلب - الأطراف - core peripheries model لتحليل وتبسيط عملية الإنتاج المعقدة في إطار الاقتصاد العالمي.
- العالم ينتظم في إقليم وظيفي كبير يضم:
- المركز (core) الذي يضم الدول الأكثر تطوراً.
- شبه الأطراف (semi-peripheries) الذي يشتمل على الدول النامية حديثة التصنيع.
- الأطراف (peripheries) الذي يحتوي على الدول المتخلفة اقتصادياً أو الأقل نمواً.

- الهيمنة السياسية على الاقتصاد العالمي كانت لأسبانيا والبرتغال في القرن السادس عشر، وللهولندا في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وفرنسا وبريطانيا في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وأصبحت هذه الهيمنة للولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة.
- ج-الجغرافيا السياسية، وفقاً لتايلور، تركز على الاستعمار كفكرة محورية، حيث يعتبر الاستعمار بمفهومه الاقتصادي - السياسي أداة رئيسية في تشكيل واقع العلاقات الدولية.
- العلاقات الدولية تتمثل في علاقات التنافس بين القوى العظمى (الشرق والغرب)، وعلاقات الهيمنة بين الدول المتقدمة والدول النامية والمتخلفة (الشمال والجنوب).
- مفهوم الجغرافيا السياسية يدور حول دراسة سياسة النظام العالمي الجديد أو الاقتصاد العالمي في إطاره المكاني.
- الجغرافيا السياسية، بالتعريف، هي “جغرافية الاستعمار” بوصفها استراتيجية للهيمنة.
- مجال الجغرافيا السياسية ينحصر في دراسة العلاقات الاقتصادية - السياسية بين دول المركز ودول الأطراف وشبه الأطراف، أي دراسة هيمنة وتسلط دول المركز على دول الأطراف وشبه الأطراف.

الفصل الثالث

الجيوبوليتيكا النشأة والماهية

- ظهر مصطلح الجيوبوليتيكا أو الجيوبولتيكس (geopolitics) على الساحة العلمية بعد ظهور مصطلح الجغرافيا السياسية (political geography) بنحو عامين.
- منذ بزوغ مصطلح الجيوبولتيكس، الجدل مستمر حول الاتفاق والاختلاف بينه وبين الجغرافيا السياسية.
- للتمييز بين المصطلحين، ينبغي التعرف على مصطلح الجيوبولتيكا من حيث النشأة والمفهوم والمجال.
- ثم الوقوف على العلاقة بين مصطلح الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية.
- أولاً : نشأة الجيوبولتيكا
- مر مصطلح الجيوبولتيكا منذ ظهوره على الساحة العلمية وحتى الآن باستخدامات كثيرة ، وفي مظلة هذه الاستخدامات يمكن التمييز بين ثلاثة مفاهيم لهذا المصطلح كما يلي:
- العالم السويدي من أصل ألماني، رودلف كيلن (Rudolf Kjellen)، هو أول من استخدم مصطلح الجيوبولتيكا (geopolitics) في ورقة بحثية نشرت في المجلة الجغرافية السويدية Ymer.
- كيلن عاد واستخدم المصطلح ذاته باللغة الألمانية (geopolitik) في دراسة نشرها في المجلة الألمانية Geographische Zeitschrift.
- حدد كيلن الجيوبولتيكا بأنها العلم الذي يصف دور العوامل الجغرافية في تحديد السلوك القومي.
- كان كيلن متأثراً بالفلسفة المثالية الألمانية، والداروينية الاجتماعية، والآراء الإمبريالية السائدة آنذاك.

- رفض كيلن وجهة النظر السائدة للدولة ككائن قانوني (legal object) واعتبرها قوة في الشؤون الخارجية.
- في كتابه "الدولة كائن حي" (staten som livsform)، حدد كيلن مفهوم الجيوبوليتيكا بأنه "العلم الذي يختص بدراسة الدولة ككائن جغرافي حي أو بوصفها ظاهرة مكانية"، مع التركيز بشكل خاص على موقع الدولة في علاقتها مع الدول الأخرى، وهيئتها الإقليمية وحجمها.
- أوضح كيلن أن حياة هذا الكائن المكاني تقوم على الكفاح المستمر للحصول على الموارد الحيوية اللازمة لبقائه، والتي يعد الإقليم أهم هذه الموارد.
- كان كيلن متأثرًا بفكرة الدولة العضوية (organic state) التي طرحها الجغرافي الألماني راتسل، ولكنه اهتم أيضًا بالجانب اللاعضوي أو المعنوي للدولة.
- اتفق كيلن مع راتسل على أن الهدف النهائي من نمو الدولة هو بلوغ القوة، وأن الدولة القوية هي التي تجعل من التوسع هدفًا لها.

• ثانياً : مفهوم الجيوبوليتيكا

• 1- الجيوبوليتيكا العلمية Scientific geopolitics

- المفهوم الذي طرحه رودلف كيلن، الذي ينتمي إلى المدرسة السويدية، يرتبط بمصطلح الجيوبوليتيكا.
 - قدم كيلن المبادئ الأساسية لفكرته في كتابه الشهير "الدولة كائن حي".
 - طرح كيلن نظرية تقول أن الدولة كائن حي يتكون من خمسة أعضاء هي: الحكومة، السكان، المجتمع، الاقتصاد، والأرض أو إقليم الدولة.
 - أكد كيلن أن حياة الدولة تتوقف على مدى حيوية هذه الأعضاء الخمسة وقدرتها على أداء وظائفها.
 - في ذلك الوقت، كانت الدولة هي محور علم السياسة، لذا نظر كيلن إلى كل عضو من الأعضاء الخمسة على أنه يمثل فرعًا من فروع علم السياسة، وهي:
1. فرع السياسة الحكومية أو الكراتوبوليتيكا (kratopolitik)
 2. فرع السياسة السكانية أو الديموبوليتيكا (demopolitik)
 3. فرع السياسة الاجتماعية أو السوسيوبوليتيكا (sociopolitik)
 4. فرع السياسة الاقتصادية أو الايكوبوليتيكا (oekopolitik geopolitik)
 5. فرع السياسة الأرضية أو الجيوبوليتيكا (geopolitik)
- الجيوبوليتيكا هي في الأصل فرع من علم السياسة يهتم بدراسة السياسة الأرضية للدولة، وهي السياسة الخارجية التي تملئها الضغوط والتأثيرات النابعة من المجال الأرضي للدولة.
 - المطالب المكانية (Muir spatial requirements) هي الاحتياجات المكانية التي ترتبط بإقليم الدولة (state's territory) والتي تسعى الدولة من ورائها إلى تأمين مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية.

- يعتمد علم الجيوبوليتيكا في الحصول على معلوماته عن المجال الأرضي للدولة على علم الجغرافيا السياسية، الذي ينحصر دوره في عملية فحص خصائص هذا المجال بطريقة موضوعية، بهدف الكشف عن سماته العامة.
- بعض الأشخاص يدعون أن علم الجغرافيا السياسية هو الأصل الذي تفرع منه علم الجيوبوليتيكا، وبعضهم الآخر يستخدم المصطلحين كمترادفين، وفي مقدمتهم الجغرافي الأمريكي الشهير Saul Cohen.
- **2 - الجيوبوليتيكا العملية Practical geopolitics**
- المفهوم الذي طرحه رودلف كيلن وF. Ratzel يرتبط بالمدرسة الألمانية في الفكر الجغرافي السياسي.
- بعض الجغرافيين الألمان قاموا بتحويل أفكار كيلن وراتزل إلى فلسفة عملية للسياسة الألمانية، التي تسعى إلى إعادة بناء ألمانيا كقوة عظمى، وذلك في أعقاب الدمار الذي أصابها من جراء الهزيمة في الحرب العالمية الأولى.
- هذا الاتجاه تجاوز العمل العلمي إلى مجال الفن، أي إلى مجال تطبيق الوسائل اللازمة للاستفادة من العلم في المجال البرجماتي (pragmatic).
- كارل فون هايز هوفر (Haushofer)، العسكري والجغرافي الألماني، يأتي على رأس هذا الاتجاه. عرف الجيوبوليتيكا بأنها دراسة علاقات الأرض ذات المغزى السياسي.
- ترسم المظاهر الجغرافية لسطح الأرض إطار الجيوبوليتيكا الذي تتحرك فيه الأحداث السياسية. بمعنى أن الجيوبوليتيكا ترسم الطريق لتحقيق المصالح القومية بطريقة ذاتية، وتساعد الحكام ورجال السياسة وضباط الجيش في اتخاذ القرارات السياسية والاستراتيجية.
- كارل هايز هوفر (Haushofer) ورفاقه من علماء معهد ميونخ للجيوبوليتيكا ومحرري مجلة الجيوبوليتيكا (zeitschrift fur geopolitik) تمكنوا من تحويل المعلومات الجغرافية إلى مجموعة من المبادئ والتعاليم التي يمكن أن يستفيد بها قادة الدولة وساستها في وضع استراتيجية إعادة بناء الدولة.
- من أبرز الأيديولوجيات والمبادئ التي نادى بها علماء الجيوبوليتيكا الألمان (الجيوبوليتيكا العملية) فكرة المجال الحيوي (lebensraum - living space)، وهي فكرة ابتدعها وصك مصطلحها الجغرافي الألماني راتسل (Ratzel).
- أصبحت فكرة المجال الحيوي مشروعًا قوميًا للدولة الألمانية، خاصة مع بلوغ حزب النازي (Nazi) إلى سدة السلطة في ألمانيا، حيث كان المجال الحيوي أحد أركان الأيديولوجية النازية.
- يعني المجال الحيوي تلك الرقعة الجغرافية التي تتسع لنمو الدولة بوصفها كائنًا مكانيًا حيًا، ويحقق لها الاكتفاء الذاتي، وعليه فإن المجال الحيوي ضروري للحفاظ على بقاء الدولة وتعظيم قوتها وتقدمها.

- يعرف توفيق المجال الحيوي بأنه المجال الجغرافي (geographical space) الذي تحدد أبعاده المطالب المكانية للدولة، والتي لا تتقيد بالضرورة بحدود السيادة الإقليمية، ولا بقواعد القانون الدولي. وعليه يكون المجال الحيوي امبريالية استعمارية منقحة.
- الجيوبوليتيكا الألمانية، التي تركز على مفهوم المجال الحيوي (lebensraum)، تهدف إلى دراسة العلاقة بين الأرض (المكان) والقوة في مجال السياسة الدولية.
- المجال الحيوي أصبح أحد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الألمانية في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وذلك في إطار "حق ألمانيا في مجال حيوي" (German right to lebensraum).
- علماء الجيوبوليتيكا في معهد ميونخ بألمانيا، بما في ذلك هايز هوفر (Haushofer)، لم يقدموا إضافات جديدة للإطار النظري الذي وضعه السويدي رودلف كيلين (Rudolf Kjellen) للجيوبوليتيكا. بل اقتصر دورهم على الترويج له، سواء بشرح فكرة المجال الحيوي وأهميته للشعب الألماني، أو كمبرر علمي للتوسع النازي.
- هذا التوجه نشأ كرد فعل للخسائر الإقليمية التي تكبدتها ألمانيا بناءً على ما وقعها عليه مؤتمر فرساي بعد الهزيمة في الحرب العالمية الأولى.
- وعليه يمكن تقديم تعريف الجيوبوليتيكا الألمانية التي ظهرت في فترة ما بين الحربين العالميتين في القرن العشرين، والتي تم نعتها بالجيوبوليتيكا العملية أو البراجماتية كما يلي:
- (١) هي عبارة عن الأساس العلمي الجغرافي الذي يركز عليه فن العمل السياسي للدولة في سعيها من أجل تحقيق فكرة المجال الحيوي. وبهذا تكون ظاهرة التنافس computation أو الصراع dispute في العلاقات الدولية هي جوهر الجيوبوليتيكا العملية.
- (٢) هي فن ادارة عملية التنافس والصراع في العلاقات الدولية من منظور جغرافي،
- (٣) هي فن اختيار الوسائل المؤدية إلى تحقيق المطالب المكانية في مجال السياسة الدولية.
- وهي بذلك وثيقة الصلة بالاستعمار الرسمي استعمار الأرض) الذي يقوم علي استخدام القوة الصريحة في التوسع الاقليمي من أجل المصلحة القومية.
- **3- الجيوبوليتيكا النقدية (الفكرية) Critical geopolitics**
- مصطلح الجيوبوليتيكا ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين ويرتبط بالمدرسة الأمريكية في الفكر الجغرافي السياسي.
- بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وانتحار كارل هايز هوفر، رائد الجيوبوليتيكا العملية، ومحاكمة النازي في نورنبرج، مر الفكر الجيوبوليتيكي بفترة من الركود والاضمحلال، يمكن أن نطلق عليها فترة الخمول الفكري الجيوبوليتيكي.

- مع سبعينيات القرن العشرين، بدأ المصطلح يعود للظهور من جديد في العالم الأنجلو أمريكي، حيث صدر كتاب "جيوبوليتيكا العصر النووي" (Geopolitics of nuclear era)، وأعقبه عدد من الإصدارات التي يتصدر مصطلح الجيوبوليتيكا عناوينها.
- هنري كيسنجر (H. Kissinger)، الذي كان مستشاراً للأمن القومي ووزيراً للخارجية، لعب دوراً كبيراً في إحياء الفكر الجيوبوليتيكي داخل الولايات المتحدة الأمريكية. توسع في استخدام مصطلح الجيوبوليتيكا في أحاديثه وكتابات، حتى شاع استخدامه كطريقة لوصف وتحليل المنافسات الدولية في السياسة العالمية.
- خلال فترة الحرب الباردة، كانت الجيوبوليتيكا (Geopolitics) مرتبطة بشكل كبير بالعلاقة المنافسة (Rivalry Relation) في السياسة العالمية.
- دعاة السياسة الواقعية (Real Politics) استخدموا حقائق الجغرافيا كدعم لأرائهم وخططهم.
- الواقعية في السياسة الخارجية تفترض أن العلاقات الدولية تقوم على فلسفة الصراع إلى حد كبير.
- نظرية قلب الأرض (Heartland Theory) لها الفورد ماكندر (H. Mackinder) ونظرية حافة الأرض (Rimland Theory) لنيقولا سبيكمان (Spykman) كانتا من بين أكثر النظريات الجيوبوليتيكية التي اعتمد عليها صناع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية.
- هذه النظريات قدمت نموذجا جغرافيا مبسطا للعالم الذي تتنازعه قوتين عظميين: (1) قوة برية تتمثل في الاتحاد السوفيتي الذي يسيطر على منطقة القلب (Heartland)، (2) قوة بحرية تتمثل في الولايات المتحدة التي تشغل جزءاً كبيراً من الهلال الخارجي (Outer Crescent)، (3) يفصل بينهما منطقة اتصال أو تصادم هي منطقة الهلال الداخلي (Inner Crescent) أو حافة الأرض (Rimland).
- ولإدارة ملف التعامل مع الاتحاد السوفيتي كقوة منافسة تحت مظلة الجيوبوليتيكا الفكرية / النقدية، اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على استراتيجيتين هما:
- (1) استراتيجية سياسة الإحتواء (Containment Policy) تقوم على تطوير الاتحاد السوفيتي بسياج من الأحلاف والقواعد العسكرية في منطقة الحافة.
- الهدف من سياسة الإحتواء هو الحد من التوسع السوفيتي والحيولة دون ابتلاعه دولا جديدة في الجزيرة العالمية.
- الأحلاف التي تمثلت فيها سياسة الإحتواء هي حلف شمال الأطلسي (NATO)، حلف المعاهدة المركزية (CENTO) في غربي آسيا، وحلف جنوب شرقي آسيا (SEATO).
- سياسة الإحتواء تقتضي التدخل عند الضرورة في بعض مناطق الحافة التي لم يتم تطويقها باحكام، لحسم الصراع الدائر فيها، مثل مشكلة برلين والحرب الكورية وحرب فيتنام.

- هذا يتم في إطار ما يعرف بنظرية الدومينو (Domino Theory)، التي تفترض بأن دول الحافة تشبه البناء المرصوص (Linkage States)، إذا سقطت إحداها في قبضة الشيوعية، سقطت معها الدول المجاورة.
- (2) استراتيجية الردع النووي (Nuclear Deterrence) تركز على منطقة القلب، وتهدف إلى تحقيق التوازن الاستراتيجي مع الاتحاد السوفيتي.
- الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الأمريكية هو منع قيام قوة عظمى منافسة تهدد ريادة الولايات المتحدة للعالم.
- توسيع نطاق عضوية حلف الناتو ليشمل أوروبا الشرقية، وذلك بغرض عدم اعطاء الفرصة لروسيا لاستعادة سيطرتها على هذا الإقليم.
- الاستراتيجية الأمريكية تهدف إلى شغل الفراغ الأيديولوجي والسياسي الذي نشأ في منطقة حافة الأرض، والحد من انتشار الأصولية الإسلامية في هذه المنطقة الاستراتيجية.
- نظريتا قلب الأرض وحافة الأرض مازالتا تشكلتا مرتكزا للاستراتيجية الأمريكية في مجال السياسة العالمية.
- العلاقة بين الإقليم (Territory) والقوة (Power) أو بين الإقليم (Territory) والأمن (Security)، وما ينتج عنها من تنافس وصراع في العلاقات الدولية، يمثل الفكرة المحورية التي يقوم عليها مفهوم الجيوبوليتيكا النقدية/الفكرية.
- الجيوبوليتيكا تمثل أحد المقتربات الفكرية المستقرة في علم العلاقات الدولية، والذي يستخدم في تحليل وتفسير ظاهرة الصراع الدولي.
- وبناءً على ما سبق توضيحه يمكن تقديم مفهوم الجيوبوليتيكا الأمريكية، والتي ظهرت منذ سبعينيات القرن العشرين، والتي تم نعتها بالجيوبوليتيكا النقدية الفكرية كما يلي:
- (1) هي نمط من الفكر الجغرافي السياسي، يُستخدم في تقييم الأماكن من منظور المصالح القومية للدول؛
- (2) هي نظرية جغرافية تعتمد عليها استراتيجيات السياسة الخارجية للدول، بوصفها قوي متنافسة competing powers، وليس بوصفها كيانات قانونية legal bodies
- (3) هي عبارة عن تحليل التفاعل القائم بين الأوضاع الجغرافية من ناحية والأبعاد والعلاقات السياسية من ناحية أخرى.
- **ثالثا: العلاقة بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا**
- الجغرافيا السياسية: تدرس الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، وتشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع.
- الجيوبوليتيكا: تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها الدولة لتنمو حتى لو كانت وراء الحدود، وتكرس الجيوبوليتيك أهدافها للمستقبل من زحزحة الحدود وإلى تزييف الخرائط.

- الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستراتيجية، بينما الجيوبولتيك تعدها كائناً عضوياً في حركة متطورة.
- الجغرافيا السياسية تهتم بالأراضي والسلطة والحدود عبر مجموعة من المقاييس، بينما الجيوبولتيك تهتم بدراسة العوامل الجغرافية في السياسات العالمية والعلاقات بين الدول.
- **(1) الأسباب الثانوية.**
- الجغرافيا السياسية (Political Geography): ظهرت على الساحة الأكاديمية على يد الأستاذ الألماني فريدريك راتسل. تدرس الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدولة، وتشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع.
- الجيوبولتيكا (Geopolitics): بزغت على الساحة الأكاديمية بعد عامين من ظهور الجغرافيا السياسية، على يد الأستاذ السويدي رودلف كيلين. تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها الدولة لتنمو حتى لو كانت وراء الحدود، وتكرس الجيوبولتيك أهدافها للمستقبل من زحزحة الحدود وإلى تزييف الخرائط.
- الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستراتيجية، بينما الجيوبولتيك تعدها كائناً عضوياً في حركة متطورة.
- الجغرافيا السياسية تهتم بالأراضي والسلطة والحدود عبر مجموعة من المقاييس، بينما الجيوبولتيك تهتم بدراسة العوامل الجغرافية في السياسات العالمية والعلاقات بين الدول.
- **(2) الأسباب الرئيسية.**
- القوة (Power) أو المصلحة القومية (National Interest): أدى اهتمام علماء الجغرافيا بدراسة سياسة القوة الإقليمية في الربع الأول من القرن العشرين في إطار الجغرافيا السياسية، إلى صعوبة التمييز بينه وبين موضوع الجيوبولتيكا، التي تشكل القوة محوراً أساسياً من محاورها.
- النظرة العالمية (Global View): سيطرت النظرة العالمية على الجغرافيين السياسيين في اختيار موضوعاتهم وطرق معالجتها، في الربع الأول من القرن العشرين.
- العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا هي أمر واقع لا فكاك منه، وله الأسباب التي تبرره.
- الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا تمثلان جزءاً أصيلاً من التراث الفكري للجغرافيا السياسية.
- الجيوبولتيكا تعد فرعاً من الجغرافيا السياسية تستخدم نظرياتها عن سياسات القوة والنظام العالمي في تحليل علاقات التنافس والصراع بين الدول.
- الدراسة في الجغرافيا السياسية تكون ذات مستوى **مستويين**.
- تتمثل العلاقة بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا في مستويين:

- المستوى الأول - مستوى الدولة (State Level): يتمحور حول دراسة خصائص الدولة كمنطقة للفعل السياسي وتأثيرها على القرار السياسي. يتعامل هذا المستوى مع دراسة الخصائص المكانية للعملية السياسية على مستوى الدولة.
- المستوى الثاني - المستوى الدولي (International Level): يتميز بالنظرة الشمولية للعالم والمصلحة القومية. يركز هذا المستوى على دراسة وتحليل الأبعاد الجغرافية لعلاقات التنافس والصراع بين الدول من أجل المصلحة القومية في السياسة الدولية. هذا المستوى هو ما يُعرف بالجيوبوليتيكا.

أحمد كرم

الفصل السابع

القوى البنائية للدولة

• أولاً: فكرة الدولة State idea

• ماهية فكرة الدولة

- الدولة تبدأ بفكرة أو هدف أساسي (the fundamental purpose of a state)، وهو مبرر وجودها.
- فكرة الدولة تتغير وتتطور مع الوقت، وتعتمد على الأهداف التي يعتنقها السكان ويتطلعون بها لدولتهم.
- فكرة الدولة تعزز الولاء والانتماء للدولة والوطن داخل السكان، وهي أساس الوحدة والتماسك داخل الدولة.
- الفكرة السياسية (political idea) تمثل مبرر وجود الدولة (raison d'être).
- القرار (decision) هو الاتفاقيات التي تقرر تطبيق الفكرة السياسية.
- التحرك (Movement) يشير إلى التدابير المطلوبة لتنفيذ القرار وإنتاج المجال (field).
- الساحة السياسية (political area) تمثل إقليم الدولة التي قامت بالفعل حاملة أهداف وأمال السكان بشأن دولتهم المنشودة.
- تطبيق نظرية فكرة الدولة يحتاج إلى توجه ودراسات تاريخية، ويحتاج إلى مرونة في التطبيق حتى لا يحدد الباحث عن الجغرافيا.
- الجغرافي السياسي لا يستطيع أن يُسقط من اعتباره عنصر الزمن، على الأقل بالنسبة لدراسة عملية بناء منطقة الدولة.

- لوسيان فيفر يؤكد على أهمية فكرة الدولة بعناصرها في البناء الجيوسياسي للدولة.

• فكرة الدولة العراقية (دراسة حالة)

- الآراء تختلف بشأن نشأة دولة العراق الحديثة. بعض الناس يعتقدون أنها نشأت بسبب اعتراف القوى العظمى بأهمية بلاد الرافدين بعد الحرب العالمية الأولى ورغبتهم في خلق وطن للقوميين العرب.
- آخرون يعتقدون أن العراق الحديث هو الوريث الطبيعي لحضارة بلاد الرافدين والأنظمة السياسية التي توالى عليها حتى دخول الإنجليز.
- يرى هذا الفريق أن نشأة العراق المعاصرة تعود إلى رغبة إنجلترا في بناء دولة عصرية ذات حدود وسلطة مركزية لحماية مصالحها في المنطقة.
- تم التحكم في الدولة الوليدة بواسطة نخبة حليفة وتابعة للإنجليز.
- تطبيق عناصر نظرية فكرة الدولة التي قدمها هارتشورن على العراق.

- يتم الوقوف على فكرة الدولة العراقية منذ نشأتها وظهورها ككيان سياسي موحد في عشرينيات القرن العشرين وحتى الآن.

الفكرة السياسية Political Idea

- هارتشورن عرّف الفكرة السياسية بأنها مبرر وجود الدولة وسبب قيامها. هذه الفكرة السياسية هي الأساس الذي تقوم عليه نشأة المنطقة السياسية للدولة.
- مبررات وجود ونشأة دولة العراق جاءت من خارج القطر العراقي، نتيجة للمؤثرات والتفاعلات السياسية على الساحة الدولية في بدايات القرن العشرين. هذه المؤثرات انحصرت في التنافس بين القوى الأوروبية والإمبريالية على منطقة بلاد الرافدين، سعياً وراء المصالح.
- بريطانيا كانت القوة الأكثر اهتماماً بالمنطقة في ذلك الوقت، لذا تولت مهمة بناء الكيان السياسي للدولة المقرر نشأتها في بلاد الرافدين وتحديد إقليم هذه الدولة.
- وراء تنفيذ بريطانيا لهذه المهمة، كانت مبررات عديدة، تمثل محتوى ومضمون الفكرة السياسية لبناء الدولة العراقية الحديثة، وأهمها ما يلي :
- المبرر الاستراتيجي
- المبرر الاستراتيجي كان الأساس في فكرة الإنجليز لبناء دولة العراق. هذا المبرر جاء نتيجة لحرص بريطانيا على الدفاع عن وجودها في الهند وأهمية العراق في طريق المواصلات العالمية.
- الإنجليز حرصوا على التواجد في العراق، وأقاموا قنصلية لهم في بغداد لرعاية مصالحهم ومراقبة أحوال المنطقة.
- أول أهداف الاستراتيجية البريطانية في دخول العراق كان ضمان حماية الطريق للهند عبر العراق.
- زاد من أهمية المبرر الاستراتيجي الإنجليز في العراق التقدم الروسي في بلاد فارس والدولة العثمانية في القرن 19.
- الإنجليز بدأوا بناء الكيان السياسي في العراق في بداية القرن العشرين، بسبب اهتمام ألمانيا بالعراق.
- مجلس اللوردات البريطاني أعلن أن مصالح بريطانيا تمتد إلى الشمال من بغداد، مما دفع الإنجليز لدخول بغداد للقضاء على أية أطماع في المنطقة.

المبرر الاقتصادي

- المبرر الاقتصادي كان مكماً للمبرر الاستراتيجي وكان ذا أهمية كبيرة بالنسبة للإنجليز، حيث كان يخدم ويوطد الوجود الإنجليزي في بغداد.
- الإنجليز كان لديهم مصالح اقتصادية كثيرة في العراق، أهمها السيطرة على نفط البصرة والفاو، وكان العراق يمثل مصدراً للخامات والموارد الأولية وسوقاً للمنتجات الإنجليزية.
- الإنجليز تمكنوا من السيطرة على الاقتصاد العراقي في بداية القرن العشرين، حيث كانوا يحتكرون حوالي **25%** من صادرات العراق ونحو **50%** من وارداته.
- بجانب الأهداف والمبررات السابقة، كان لإنجلترا في العراق أهداف دينية وعلمية.
- الفكرة السياسية التي تقوم عليها بناء الكيان السياسي في العراق تقوم على مبررات نابعة من خارج المنطقة، والسكان في المنطقة العراقية لم يلعبوا دوراً ذا شأن في ذلك.
- الإنجليز كانوا يحتكرون حوالي **25%** من صادرات العراق ونحو **50%** من وارداته.
- سفن إنجلترا في الخليج العربي والأنهار العراقية كانت تنقل نحو **79%** من بضائع العراق.
- ويلكوكس أشار في أبحاثه إلى إمكانية التوسع الزراعي بالعراق وزراعة حاصلات تخدم الصناعة الإنجليزية في مساحة تقدر بحوالي **3** مليون فدان.

القرار Decision

- يعد القرار المرحلة الثانية في فكرة بناء الدولة العراقية، ويعرف بأنه الاتفاقيات التي تقرر تطبيق الفكرة السياسية وتدعو إلى تنفيذها على أرض الواقع. وقد جاء القرار الجغرافي - السياسي لنشأة الدولة العراقية من خارج المنطقة في مرحلة انهيار الدولة العثمانية، وعلي يد القوي الأوربية المتنافسة على النفوذ والسيطرة على المنطقة، وينحصر هذا القرار في **الآتي:**
- قرارات اتفاقية سايكس - بيكو
- اتفاقية سايكس - بيكو تمثل أول مراحل التطبيق الفعلي للفكرة السياسية نحو بناء كيان سياسي في بلاد ما بين النهرين.
- الاتفاقية قررت أن تكون المنطقة الحمراء (الجنوبية) ومن ضمنها ولايتي البصرة وبغداد تحت إدارة إنجلترا.
- الإنجليز دخلوا بغداد وتقدموا نحو الشمال وسيطروا على الموصل رغبة في ضمان نفطها.
- الإنجليز عللوا ذلك باتفاقية الهدنة في مدروس Mudros، التي تتيح لأياً من الدول المشتركة فيها أن تتوسع وتضم مناطق ذات أهمية استراتيجية لها.

- الإنجليز أسسوا كياناً سياسياً وإدارة محلية في المنطقة وأقرّوا وضعه دولياً، بمعنى بناء إقليم دولة العراق والاعتراف الدولي به سواء على مستوى عصبة الأمم أو على مستوى دول الجوار خاصة تركيا وإيران.
- **قرار الانتداب**
- قرار الانتداب يمثل المرحلة الثانية في القرار الجغرافي - السياسي لبناء الكيان العراقي، وهو قرار اتخذته عصبة الأمم وتم تطبيقه بعد اتفاق سان ريمو.
- قرار الانتداب يمثل تأكيداً لبقاء الإنجليز في العراق ودافع قوي لتفعيل قرارات سايكس بيكو.
- الإنجليز جاءوا بقرار الانتداب بهدف تنظيم أمور الدولة الجديدة وإدارتها على أسس أكثر كفاءة تهدف لإقامة دولة عصرية تحت سيطرتهم.
- نظام الانتداب أنتج دولة جديدة في العراق، حيث عمل على نقل شعب المنطقة من مجرد ولايات ومقاطعات إدارية في إمبراطورية كبيرة إلى دولة سياسية مستقلة ذات حدود معروفة ومعيّنة.
- بإعلان الانتداب البريطاني على العراق بدأ دور الشعب العراقي في الصعود بشأن دولتهم الجديدة، فثار هذا الشعب ضد الإنجليز مطالبين بإنهاء الحكم العسكري والانتداب، وإنشاء حكومة مدنية من العراقيين أبناء المنطقة.
- الإنجليز اختاروا فيصل بن الشريف حسين ليكون ملكاً على العراق، وكان اختياراً موفّقاً يرضى جميع فصائل الشعب العراقي سنة وشيعة وأكراد.
- يمكن تحديد نقطة البدء التاريخي في قيام دولة العراق الحديث كدولة انتداب، لأن المنطقة (بلاد الرافدين) عانت من التفكك وعدم التماسك ولم تشهد وحدة وسلطة مركزية معترف بها من غالبية الشعب إلا مع مجيء الملك فيصل الأول.
- إقامة نظام ملكي وراثي في إطار دستوري برلماني يعد بمثابة تحول فاصل في اتجاه إقامة الدولة الحديثة بأجهزتها ومؤسساتها السياسية.

• التحرك Movement

- يعرف مصطلح التحرك بأنه مجموعة التدابير والإجراءات المطلوبة لتفعيل القرار الجغرافي - السياسي وتطبيقه على الأرض، بمعنى مرور الدولة بطور من أطوار تكوينها يتطلب تعيين مجالها وتحديد الاعتراف به إقليمياً ودولياً. وقد جاء التحرك العراقي علي مستويين، مستوي اقليمي وآخر دولي.

• المستوى الإقليمي

- التحرك على المستوى الإقليمي يهدف إلى اعتراف دول الجوار، خصوصاً تركيا وإيران، بالدولة الجديدة والاتفاق على الحدود معها.
- الحدود بين العراق وإيران حددها بروتوكول 1913م، لكن حكومة طهران علقت اعترافها بالكيان الجديد، في محاولة لتحقيق مكاسب أرضية في منطقة نهر شط العرب.
- تركيا وافقت على الاعتراف بالعراق تحت الانتداب البريطاني، لكنها لم توافق على ضم ولاية الموصل إلى هذه الدولة الوليدة، على اعتبار أن هذه الولاية جزء من المجال الأرضي للدولة التركية.
- عصبة الأمم اعترفت بضم ولاية الموصل للعراق بعد التحكيم، مع مراعاة الحقوق الثقافية والإدارية للأكراد والأقليات الأخرى بالولاية.
- التحرك وضم ولاية الموصل كان هدفاً خاصاً للإنجليز بسبب أهميتها النفطية، وكان هدفاً مهماً للملك فيصل الأول الذي أصّر على التمسك بها داخل الحوز العراقي.
- بضم الموصل، حقق العراق مكاسب جيوبوليتيكية أهمها: توسيع المجال الأرضي، وتعيين الحدود، وتحقيق مكاسب جيواقتصادية تتمثل في نفط الموصل، بالإضافة إلى أنه عمل على حفظ التوازن الطائفي بين الشيعة والسنة داخل الدولة العراقية.

• المستوى الدولي

- التحرك على هذا المستوى يهدف إلى دخول دولة العراق عصبة الأمم وقبولها عضواً بها، وهذا يعني الاعتراف الدولي بها كدولة مستقلة لها كامل السيادة على إقليمها الأرضي.
- تم قبول دولة العراق عضواً في العصبة بعد تقديمها كافة الضمانات التي تحفظ سلامة الأقليات داخل الدولة.
- في هذه المرحلة من التحرك، وقفت إنجلترا مساندة للعراق في سعيها لدخول عصبة الأمم وقبولها عضواً بها، بهدف إنشاء دولة ذات حكم ذاتي تخدم المصالح البريطانية في المنطقة.
- بقبول دولة العراق عضواً في عصبة الأمم، حققت الاستقلال وفقاً لمعاهدة مع إنجلترا، وأكتمل بناء مجالها الأرضي وعينت حدودها مع دول الجوار.
- رغم الاستقلال، لم يكن تاماً لأن الإنجليز ما زالوا في البلاد يتحكمون في مصيرها ومستقبلها، وعلى هذا الأساس، أصبحت العراق بعد قبولها في عصبة الأمم دولة منقوصة السيادة.

• المجال Field

- يشير هذا المصطلح إلى أن الدولة العراقية وبعد بلوغها مرحلة الاستقلال الاسمي ، تسعى إلى تحقيق أهداف وآمال الشعب العراقي لتأكيد وجودها على الساحة الدولية و بالتالي تأكيد فكرة الدولة داخل وجدان الشعب العراقي ، من خلال تحقيق السيادة الكاملة على مجالها الأرضي . وقد ارتكزت أفكار المجال العراقي بعد الاستقلال علي ما يلي :
- تحقيق السيادة الإقليمية
- العراق تسعى من خلال هذا الهدف إلى تحقيق وبناء سيادتها الكاملة على إقليمها الأرضي والتخلص من السيطرة البريطانية على البلاد.
- السيادة تمثل القاعدة التي تحدد الكيانات الإقليمية المشاركة في النظام الدولي ، وترتكز عليها العلاقات الدولية فيما بينها.
- الرأي العام العراقي انقسم بعد الاستقلال إلى جبهتين إزاء تحقيق السيادة الإقليمية الكاملة للعراق.
- الجبهة الأولى (جبهة التيار الوطني) تهدف لقيام حكومة وطنية عراقية معتدلة ، مع التأكيد على ضرورة التطور السياسي والاقتصادي للعراق دون تأييد للوحدة العربية.
- الجبهة الثانية (جبهة التيار القومي) تنادي بفكرة القومية العربية ، وتتبع سياسة الحماسة في الخروج من كنف السيطرة البريطانية.
- الجبهتين تتفقان على هدف الخروج من كنف السيطرة البريطانية وتحقيق السيادة الإقليمية الكاملة للعراق ، لكنهما لم يتحدا في طريقة تحقيق الهدف.
- الجبهة الأولى سلكت طريق التعاون مع بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ، وتقديم المساعدة لها وفق معاهدة ، أملاً في عقد معاهدة أخرى بعد انتهاء الحرب تضمن للعراق التخلص من السيطرة البريطانية وتحقيق لها السيادة الكاملة.
- الجبهة الثانية (التيار القومي) كانت ترفض التعامل مع بريطانيا وتسعى لطردها نهائياً من العراق وقطع العلاقات معها.
- برفض معاهدة بورتسموث ، يكون العراق قد حقق السيادة الكاملة نظرياً ، وقضى على التدخل البريطاني في الشؤون العراقية الداخلية.
- يبقى التخلص الفعلي من السيطرة البريطانية على العراق ، وهذا ما يؤدي لتطور فكرة الدولة ونمو ثقافة الثورة والتغيير الثوري لتحقيق ذلك الهدف.

- الثورة وتغيير نظام الحكم (إعلان الجمهورية)
- إعلان الجمهورية يمثل تعبيراً عن آمال وأهداف الشعب العراقي في تغيير النظام الملكي والقضاء على التدخل البريطاني في البلاد فعلياً.
- الثورة تعبر عن آمال وأهداف الشعب خلال تلك الفترة من تاريخ البلاد، والتي تنحصر في تأسيس الجمهورية التي تصون وحدة الشعب وتعمل لمصلحة الوطن وتحقيق العدالة الاجتماعية.
- الثورة دعت لقيام عراق زاهر تسوده المساواة بين كل الجماعات العرقية، وفتحت الوظائف أمام كافة أبناء الشعب العراقي بلا تمييز.
- هذا يؤكد الرغبة في الاستقرار والوحدة، ويدل على عمق الفكرة بين كافة العراقيين وتطبيقها على المستوى الشعبي.

الساحة السياسية political area

- الساحة السياسية تمثل الحلقة الأخيرة في عناصر فكرة الدولة وتطورها، وهي إقليم الدولة التي قامت وتكونت وبلغت حد السيادة الكاملة.
- الساحة السياسية هي حصيلة الفكرة السياسية والقرار الجغرافي - السياسي والحركة.
- دراسة الساحة السياسية تهتم بالأهداف والآمال التي يوالي لها السكان ويرغبون فيها لدولتهم.
- في العراق، تدرس تلك الأهداف والآمال في مرحلتين: الأولى بعد صعود البعث وحتى حرب الخليج الثانية (مرحلة فرض القومية العربية)، والثانية بعد فرض الحصار على العراق وحتى السقوط (مرحلة نبذ القومية العربية ومحاولة فرض الذات العراقية).

صعود وسيطرة القومية العربية

- بعد ثورة وإعلان الجمهورية، لم ينعم الشعب العراقي بالاستقرار المرغوب، واشتعلت الساحة السياسية العراقية بسبب الصراع على السلطة بين التيارات الفكرية السائدة.
- القوميون العرب ينادون بفكرة القومية العربية، والإقليميون يركزون على الذات العراقية وتحقيق وحدة الدولة وتماسكها، والأكراد يطالبون بالحكم الذاتي والتركمان يدعون للبناء الديمقراطي للدولة ومشاركة كل الفئات والجماعات العرقية في الحياة السياسية، وتدعو الحركات والتيارات الإسلامية إلى نظام إسلامي يسيطر على الدولة.
- في وسط تلك الصراعات الأيديولوجية الملتهبة بشأن فكرة الدولة، يسيطر البعث على السلطة في الدولة العراقية بفكرة القومية العربية، وينكر وجود القوميات الأخرى، ويحاول طمس الهوية القومية لغير العرب.

- البعث صبغ الدولة والشعب العراقي بالطائفية وصعد مبدأ القبائلية، ولم يستطع القضاء على الولاءات المحلية وتحويلها إلى هوية وطنية عراقية يوالي لها الجميع.
- الشعب العراقي أثار ضد البعث في انتفاضات عدة، تعبيرا عن رفضها لهذا النظام وسياساته في إدارة الدولة، تلك السياسات القائمة على التمييز بين المواطنين على أساس اللغة أو المذهب أو العشيرة.
- بتلك السياسات، ظل البعث مسيطرا على الدولة بفكرة القومية العربية وشعاراتها وقائداً للدولة نحو الانهيار.
- انحسار سيطرة البعث
- الشعب العراقي اتفق على هدف واحد وهو إسقاط نظام البعث القابض على السلطة في البلاد.
- أطراف الشعب العراقي وقواه السياسية لم يتفقوا على فكرة واحدة للدولة، وطرح كل منها فكرته للدولة.
- المتابع للساحة السياسية العراقية منذ صعود البعث وحتى السقوط، يلاحظ أن أهداف وأمال الشعب العراقي تعددت واختلفت بقدر تعدد وتنوع الجماعات العرقية التي يتكون منها الشعب.
- العراق هو دولة تنقصها فكرة الدولة التي يوالي لها معظم السكان، لأنه منذ بناء الكيان العراقي تعرضت الدولة للضغوط السياسية الداخلية والخارجية.
- غياب فكرة الدولة، تفقد دولة العراق أولى القوى البنائية لمنطقة الدولة، وتفسير ذلك من منظور الجغرافيا السياسية أنه لم تكن هناك فكرة واضحة في أذهان الشعب العراقي عند بناء الكيان السياسي للعراق.
- **ثانياً : مفهوم الأمة**
- **ماهية الأمة والقومية والدولة القومية**
- **الأمة Nation**
- الأصل اللغوي لكلمة "أمة" يأتي من الكلمة اللاتينية "Natio"، التي تأتي بدورها من "Natus"، والتي تأخذ من "Nascor"، والتي تعني "أنا مولود".
- الأمة هي جماعة من البشر ذات طابع ثقافي متميز، يجمع بينهم خصائص ثقافية وبيولوجية مشتركة، مثل التاريخ والدين واللغة والعادات ووحدة الأصل وغيرها.
- الأمة تكونت تاريخياً على أرض محددة (إقليم)، وحققت الاستمرارية الجيوتاريخية لنفسها عن طريق الاستقرار على هذه الأرض لمدة من الزمن.
- الاستمرارية الجيوتاريخية تمثل أهمية كبيرة لأنها تعني الثبات والديمومة وبالتالي نمو فكرة الارتباط بالإقليم، التي تعرف في الجغرافيا السياسية بالولاية الإقليمية.

- الأمة هي ظاهرة مكانية تتكون من جماعة قومية ترتبط بمنطقة ما، ويمكن أن تظهر في كل المراحل التاريخية، إذا وجدت الظروف الجغرافية التي تساعد على بقائها واستمرارها في هذه المنطقة.

القومية Nationalism

- القومية تشير إلى الشعور المتبادل بين أفراد الأمة، والذي يجعلهم متأثرين في عواطفهم وسلوكهم بفكرة الولاء للوطن - الإقليم - لأنهم نبت أرض واحدة ومصالحهم واحدة، بصرف النظر عن الانتماءات الدينية أو الطائفية.
- القومية تمثل أيديولوجية أو نظام من المعتقدات يظهر على المستوى الإدراكي للسكان كشعور بالانتماء لأمة خاصة.

- القومية يمكنها التعبير عن ذاتها مكانياً في دولة محددة جغرافياً، وبذلك تعمل كأيديولوجية تكمل بناء الأمة في إطارها المكاني.

- الموسوعة البريطانية توضح أن القومية هي حالة عقلية قوامها شعور الفرد بالولاء الأعظم للدولة - القومية.
- القومية ظهرت كأيديولوجية راسخة القواعد في القرن 19، وهذا يعني أن مفهوم الأمة سبق ومهد لمفهوم القومية.

الدولة - القومية Nation-State

- الدولة - القومية تعرف بأنها النموذج المثالي للدولة، حيث يكون جميع السكان بها منتمين إلى قومية واحدة ولا تحتوى على أقليات عرقية.
- هذا النموذج المثالي يصعب تحقيقه على أرض الواقع إلا نادراً جداً، لأن الدولة تضم بجانب القومية الرئيسة قوميات فرعية أخرى.
- نيلسون يعرف الدولة - القومية بأنها الدولة التي لا تقل نسبة سكانها الذين ينتمون إلى أصول عرقية واحدة عن 60% من مجموع السكان.

- الدولة هي التي تخلق الأمة وتمهد لها، وبذلك تنمي الشعور بالقومية داخل سكانها.
- الأمة أولاً وأخيراً من عمل كيان سياسي واحد هو الدولة، يمزج بين جماعات وقبائل وأجناس عديدة ويصهرها معاً في وحدة تاريخية وتركيب ثقافي واحد وشعور وطني واحد يعرف بالدولة - القومية.

العلاقة بين الدولة والأمة والقومية

- العلاقة المكانية بين الدولة والأمة والقومية تنطوي على ثلاث حالات: تطابق الدولة مع الأمة، تتسع الأمة عن الدولة، وتضم الدولة مع الأمة مجموعة من أمم أخرى.

- موسوعة العلوم الاجتماعية تحدد العلاقة بين الدولة والأمة والقومية من خلال مفهومين للأمة: المفهوم السياسي والمفهوم الاثنى الثقافي.
- بندكت أندرسون يوضح العلاقة بين الدولة والأمة والقومية، في تعريف القومية بأنها أيديولوجية أو عقيدة مكانية.
- الأمة لها أهمية خاصة بالنسبة للجغرافيا السياسية، حيث تتسم بطابع الإقليمية، لأنها تشغل حيز المكان وترتبط بموقعه الجغرافي.
- الدولة - القومية هي التعبير الجغرافي السياسي عن القومية وهذه هي ركيزة الجغرافيا السياسية في دراسة وتحليل مفهوم الأمة في أي دولة من الدول.
- **مقومات الدولة – القومية**
 - بناء الدولة - القومية يعتمد على عنصرين أساسيين:
 - **العنصر الموضوعي (المادي):** هو مجموعة الروابط المشتركة التي تجعل من شعب معين أمة بالمعنى العلمي، مثل الاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة.
 - **العنصر المعنوي (غير المادي):** هو الحالة النفسية التي يولدها قيام تلك الروابط، وتظهر في الشعور بالانتماء والولاء المتبادل والتعلق بالوحدة المكانية التي يكونها هذا الشعور.
 - **العنصر الثاني يعد الأهم لأنه يمثل الأساس في بناء وتلاحم الدولة - القومية (الدولة - الأمة).** سيتم تناول هذه العناصر من خلال دراسة المقومات التي يقوم عليها بناء الدولة - القومية.
- **وحدة الأصل**
 - **العرق (Stock)** يعتبر مقوماً مهماً في بناء الدولة القومية (National State)، والأمم تبدو كمجتمعات تاريخية تنتسب إلى نسب مشترك.
 - الدول التي يتكون الغالبية العظمى من سكانها من عرقية واحدة، تكون أكثر تجانساً وأكثر استقراراً من الدول التي يتكون سكانها من عرقيات متنوعة.
 - العراق يعتبر مثلاً على الدول التي يتكون سكانها من عرقيات متنوعة. العرب والأكراد والتركمان والكردو-آشوريين والفرس والأرمن والأفغان هم بعض الأعراق التي تعيش في العراق.
 - العرب في العراق ينتمون إلى سلالة البحر المتوسط (Mediterranean)، والأكراد ينتمون إلى السلالة النوردية (Nordic)، والتركمان ينتمون إلى السلالة التركية (Turkic).
 - هذا التنوع العرقي كان عاملاً في تأخير بناء الدولة القومية في العراق.

• اللغة

- اللغة تلعب دوراً بالغ الأهمية في وحدة الدولة القومية (National State)، فهي وعاء الثقافة ومظهر الوحدة والرباط الذي يشد الوحدة القومية ويدعمها.
- الدول التي تتمتع بالوحدة اللغوية بين سكانها، تكون أكثر انصهاراً ثقافياً، ومن ثم تكون أكثر تجاذباً واستقراراً، وتتحول لدولة قومية يسيراً.
- الدول التي تجمع تنوعاً لغوياً بين سكانها، تعاني من تراجع ونقص الوحدة الثقافية بها، خصوصاً مع تمسك كل طائفة بلغتها وثقافتها، مما يعمل ضد تجانس وانسجام سكان الدولة ومن ثم يعوق بناء الدولة القومية.
- سويسرا هي نموذج على أثر اللغة على الدولة القومية، حيث تضم أربع لغات رئيسة وعدد من اللغات الثانوية. اللغة الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانشية هي اللغات الرئيسية في سويسرا.
- هذا التنوع اللغوي يؤثر على وحدة الثقافة بالدولة، خصوصاً مع تمسك كل مجموعة بلغتها وثقافتها، مما يعمل ضد تجانس وانسجام سكان الدولة، وبالتالي يقوض بناء الدولة القومية في سويسرا.

• الدين

- يقر Glassner & de Blij أن الجغرافيا السياسية (Political Geography) لا تهتم بدراسة ممارسة النشاط السياسي باسم الدين - الدولة الدينية (Religious States)، بل تهتم بدراسة الجوانب السياسية (Political Aspects) للدين التي لها صلة بالمكان (Place).
- الدين يعتبر ظاهرة تحوز تأثير ونفوذ واضح على تشكيل المناخ السياسي (Political Climate) في الدولة، بفضل خصائصه الجغرافية.
- تباينات الخريطة الدينية في الدولة يمكن أن تؤدي إلى تنافر داخلي (Internal Disharmony) أو حروب أهلية (Civil Wars).
- السلطة الكبيرة التي يحوزها الدين تؤثر بوضوح على الأداء السياسي للسكان، وتلقي بظلالها على ترتيبات وبنية النظم السياسية (Regimes) وعلى العلاقات بين السكان في الدولة.
- الدين يؤثر على بناء الدولة القومية (National State) واستقرارها.
- الدين يلعب دوراً هاماً في بناء الدولة القومية (National State) واستقرارها في نيجيريا.
- سكان نيجيريا ينقسمون إلى الإسلام (50% من السكان)، المسيحية (40% من السكان)، والديانات الوضعية (10% من السكان).

- الوضع الديني في نيجيريا يتميز بالانقسام الشديد بين الديانات المختلفة، وداخل أتباع الديانة الواحدة والمذهب الواحد.
- هذا التشرذم الديني والمذهبي كان سببا في تفشي ظاهرة توتر البلاد وعدم استقرارها، بسبب التنافس التقليدي والصراع السياسي في البلاد.
- انتشار الجماعات الدينية الراديكالية مثل بوكو حرام وطالباني بوني وحركة المولود من جديد وحركة أخوات أكوب في نيجيريا، وتأثيرها السلبي على استقرار الدولة.
- دولة نيجيريا مازالت تعيش في حقبة الإمبراطوريات، حيث توجد في أذهان السكان مجتمعات متخيلة تستظل بأيدولوجية دينية يوالون ويقاثلون لأجلها.
- الدين في نيجيريا ما زال يعوق مفهوم الأمة بدلاً من أن يدعمه ويقويه.
- **المعتقد السياسي**
- بندكت أندرسون يرى أن الدولة القومية (National State) لا ينبغي أن ترتبط بعقائد سياسية (Political Ideologies)، بل يجب أن ترتبط أكثر بالموروث الثقافي السابق على ظهور العقائد السياسية.
- العراق هو مثال على دولة نشأت وتطورت مرتبطة بأيدولوجيات مختلفة سيطرت على العملية السياسية داخل الدولة، مما أدى إلى تشرذم وانقسام الدولة فكرياً.
- التيار القومي العربي، التيار الشيوعي، والتيار الشيعي هم أمثلة على الأيدولوجيات التي سيطرت على العملية السياسية في العراق.
- المثقفون العراقيون ينادون حالياً بضرورة توحيد الصفوف العراقية والتركيز على الهوية الوطنية العراقية، لتكوين هوية عراقية واحدة تحتوى كل الشعب العراقي على اختلاف أطيافه ومذاهبه وقومياته.
- الهدف من توحيد الصفوف العراقية هو تحقيق الانسجام بين الصفوف العراقية وحفظ استقرار الدولة وبقائها على الخريطة السياسية العالمية.
- **وحدة الآمال والأهداف**
- الأمل والهدف هما العامل الوحيد الذي لا يمكن أن تتكون أمة بدونه، لأنه يقرب الناس ويجمع بينهم.
- في العراق، تتعدد آمال وأهداف السكان بتعدد الأعراق والطوائف، ولا يجتمع الشعب العراقي على أمل وهدف واحد للدولة.
- العرب السنة، الشيعة، الأكراد، التركمان، والكلد والأشوريين لديهم أهداف وآمال مختلفة للدولة.
- هذا التنوع في الأهداف والآمال ينعكس بالسلب على وحدة الدولة ويصبغها بسمة اللااستقرار.

- الحاجة إلى توحيد الأهداف والأمال لتحقيق الاستقرار والوحدة في الدولة.
- وحدة الإقليم والتاريخ
- الإقليم (Territory) أو الوطن يعد أحد أهم عوامل تكوين الدولة القومية (National State)، لأنه يمثل الجسم الأرضي للأمة (Nation's Geo-body) الذي ترتبط به مفاهيم التكامل والسيادة والسيطرة القومية.
- الإقليم يرتبط بوحدة التاريخ، فإذا اجتمعت الأمة على إقليم (وطن) فإنها تجتمع على تاريخ واحد لهذا الإقليم.
- في العراق، لا يجتمع سكانها على وحدة الإقليم والتاريخ، لأن كل جماعة سكانية (قومية أو طائفة أو عشيرة) ترى لنفسها وطناً وتاريخاً خاصاً بها يختلف عن الجماعات الأخرى.
- العرب، الأكراد، التركمان، والكلد والأشوريين في العراق لديهم أوطان وتواريخ مختلفة.
- يجب أن يتجاوز مفهوم الوطن والتاريخ في العراق مفهوم أرض القومية أو الطائفة أو العشيرة، من خلال نبذ فكرة المناطقية التي غرسها سلوك الحكومات العراقية على مدى عمر الدولة.
- الهدف هو تحقيق وحدة واستقرار العراق.
- الولاء الوطني Patriot Loyalty
- ابن خلدون يعرف الولاء (Loyalty) بأنه العصية الوطنية (Nationalism)، وهو العنصر المحرك للدولة والذي يحمل الشعور بالانتماء والترابط بين السكان الذين يضمهم إقليم الدولة.
- الولاء للوطن يرتبط بفكرة الدولة ولا يفهم إلا في إطارها، وهو يعني قيام رابطة قوية بين مواطني الدولة وأرضها.
- في العراق، حاولت النظام الحاكم غرس فكرة الولاء الوطني للدولة العراقية لدى كل السكان في كل الأقاليم، ولكن التطبيق أفسدها.
- النظام البعثي في العراق اتبع "السياسة الستالينية" التي تقوم على التهجير وإعادة التوطين القسري للسكان.
- بعد سقوط النظام البعثي، تقدم الولاء الطائفي على الولاء الوطني في العراق.
- يجب أن يتجاوز مفهوم الولاء في العراق مفهوم الولاء القومي الضيق، والعمل على صهر الولاءات الجزئية ضمن الولاء القومي العام للدولة (الولاء الوطني).
- هذا الطرح يتفق مع الفكرة الحديثة لمفهوم الأمة، والتي تنصب على الشعب والدولة بعمومها واتفاق عناصرها على وحدة المصالح.
- أنماط القومية

- قدم أوريدج Oridge دراسة توضح طوبولوجيا تصنيفية للقوميات ، وهي تشير إلي تعاقب القوميات ، وفي هذا الاطار ميز خمسة أنواع أساسية ، هي :

القومية المبكرة Porti nationalism

- القومية المبكرة (Porti Nationalism) تميزت بها دول المركز متوسطة الحجم في غربي أوروبا.
- الباحثون يختلفون في تحديد تواريخ دقيقة لنشأة هذه القومية.
- فكرة الموت في سبيل الوطن يمكن أن ترجع إلى سنة 1300م ، وفي عام 1430م ، الفتاة الفرنسية “جان دارك” تعبر عن المشاعر نفسها وهي تحفز الفرسان الفرنسيين للقتال ضد العدو البريطاني للدفاع عن التراب الفرنسي.
- المشاعر الوطنية عند الإنجليز واضحة في كتابات وليام شكسبير في أواخر القرن 16 وأوائل القرن 17.
- فرنسا وإنجلترا كانتا في طريقهما نحو تمرکز الحكم داخل حدود ثابتة ، الأمر الذي عمل على خلق صيغة من الاتساق والوفاق الوطني مع حلول عام 1800م.
- مفهوم الدولة كان أسبق من مفهوم الأمة ، بمعنى أن الدولة هي التي أوجدت الأمة ، وهذا ما يطلق عليه أوريدج “الدولة - القومية” في صورتها المبكرة.
- قومية الوحدة Unification Nationalism
- القومية الحدودية (Unification Nationalism) هي القومية التي تدعو إلى وحدة الدولة في رقعة متماسكة تحت دافع التطور العقائدي الكامل للقومية.
- ظهرت القومية الحدودية في أوروبا منذ الحروب النابليونية ، التي عملت على تحطيم كيان الإمبراطوريات المهيمنة على وسط أوروبا منذ معاهدة وستفاليا.
- القومية الحدودية ساعدت على توحيد الدول الصغيرة في دول أكبر وتحولت إلى أمة.
- ألمانيا هي أحد أبرز الأمثلة على القومية الحدودية ، حيث توحدت في رقعة متماسكة من الأرض تحت زعامة بروسيا ، مدفوعة بمشاعر القوميين الألمان.
- إيطاليا توحدت وتحولت من مجرد تعبير جغرافي ، مؤلف من دويلات صغيرة الحجم مستقلة ، إلى دولة وأمة إيطالية.

• قومية الانفصال Separation Nationalism

- القومية الانفصالية (Separation Nationalism) هي القومية التي تدعو للانفصال عن جسد الدولة وإقامة الدولة القومية الخاصة بها.
- ظهر هذا النمط من القومية عندما تفككت الإمبراطوريات الكبرى في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20، مثل إمبراطورية النمسا المجر، الإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية.
- انسلخ من تحت عباءة هذه الإمبراطوريات قوميات عدة مثل اليونان، بلغاريا، رومانيا، بولندا، المجر، النمسا، وألبانيا.
- شهدت السبعينيات والثمانينيات من القرن 20 بزوغ قوميات انفصالية في العديد من الدول، مثل اسكتلندا وويلز في المملكة المتحدة، الباسك في إسبانيا، الأكراد في العراق، وكويك في كندا.
- لم تنجح أيًا من هذه القوميات في إقامة دولة لها، إلا أنها حصلت على بعض التنازلات السياسية داخل إطار الدولة.

• قومية التحرير Liberation Nationalism

- القومية التحريرية (Liberation Nationalism) هي القومية التي ينتج عنها حصول المستعمرات على الاستقلال.
- القومية التحريرية ارتبطت بانهايار الإمبراطوريات الأوروبية فيما وراء البحار.
- هذا النمط من القومية هو الأكثر انتشاراً للقومية، ويتمثل في حركات التحرر القومية.
- كل الحركات التي قامت من أجل الاستقلال في المستعمرات تعد قومية تحرير.
- بدأت هذه الحركات في المستعمرات الأمريكية في حرب الاستقلال عن بريطانيا، التي انتهت بدستور يمنح الشعب الأمريكي حقه في السيادة.
- القومية التحريرية ارتبطت في القرن 20 بشعارات اشتراكية متباينة، ما بين الأسلوب الهندي المعتدل (الستياجراها) والنهج الفيتنامي الثوري.

• قومية التجديد Renewal Nationalism

- القومية التجديدية (Renewal Nationalism) هي القومية التي تعمل على إحياء وبعث ثقافتها القديمة لاستنفاار المشاعر القومية نحو التوحد تحت لواء واحد.
- القومية التجديدية تركز على ميراثها الثقافي (Cultural Heritage) عبر تاريخها الطويل.
- إيران وتركيا هما أمثلة على القومية التجديدية، حيث تعملان على إعادة اكتشاف هويتهما وميراثهما الثقافي.

- قد تنشأ القومية التجديدية أيضا كجزء من عملية بلورة هوية جديدة للدولة في محاولة لإعادة تحديد علاقتها بالاقتصاد.
- القومية التجديدية قد ترتبط بالثورات الحديثة العالمية.
- مثال على القومية التجديدية هو محاولة ستالين لإيقاظ الأمة الروسية من سباتها لتستعيد أمجادها وربط ذلك بالاشتراكية.

• ثالثا : منطقة النواة

• مفهوم منطقة النواة

- منطقة النواة هي مفهوم مشهور في الجغرافيا السياسية، ولكنه لم يتلقى الدراسة المستحقة.
- راتسل (Ratzel) ووتيلسي (Whittlesey) كتبوا عن هذا المفهوم في مرحلة التطورية (Developmentalism) من الفكر الجغرافي السياسي.
- بول وبوندز (Ball & Pounds) عرفوا منطقة النواة بأنها المنطقة التي تحتوي على الخصائص الجغرافية التي تؤهلها لتصبح المنطقة الجنينية (germinal area) لنمو الدولة الحديثة.
- دويتش (Deutsch) وصف منطقة النواة بأنها بؤرة الدولة أو المركز العصبي للدولة.
- فييفر (Febvre) يشير إلى منطقة النواة بأنها نقطة البدء الجغرافي للدولة.
- الجغرافي البريطاني W.G.East يطلق مصطلح الإقليم النووي (nuclear region)، ويعرفها بأنها المنطقة التي تقع حول العاصمة وتمتاز بأنها أكثر أهمية من جهة السكان والموارد والقوة السياسية.
- بير جهارت (Burghardt) حدد ثلاثة مفاهيم لمنطقة النواة هي: النواة النووية (nuclear core)، النواة الأصلية (original core)، والنواة المعاصرة (contemporary core).
- بير جهارت (Burghardt) قام بالتفريق بين النواة النووية (Nuclear Core) والنواة الأصلية (Original Core).
- كاسبرسون ومنجي (Kasperson and Minghi) يفرقان بين المفهوم التاريخي والمفهوم المعاصر للنواة.
- المفهوم التاريخي للنواة يشير إلى النواة النووية التي نشأت حولها الدولة خلال عملية تدريجية من النمو (Accretion) والتوسع (Expansion).
- المفهوم المعاصر للنواة يشير إلى ذلك الجزء من الدولة الذي يضم أكثر مناطق التركيز السكاني، وأكثر مناطق التركيز في عقد وشبكات النقل والاتصالات وأكثر مناطق التركيز في كافة أنواع الموارد.
- جلاسسر ودي بليج (Glassner & de Blij) وضعوا تعريفاً لمنطقة النواة يقول بأنها ظهير العاصمة أو المدينة الكبرى، أو أنها تجمع من المدن الكبرى (Cluster of Large Cities).

- منطقة النواة في أي دولة تنطوي على مفهومين متكاملين: المفهوم التاريخي والمفهوم الحديث.
- المفهوم التاريخي للنواة يكون مهمًا لفهم وتوضيح الدور التاريخي للنواة في بناء الدولة ونشأتها وتطورها السياسي.
- المفهوم الحديث للنواة يكون مهمًا في فهم العلاقة بين قلب الدولة وأطرافها (هوامشها) في المرحلة المعاصرة، بهدف الحفاظ على استمرار وتماسك الدولة.

• أنماط منطقة النواة

- بالنسبة للتوظيف، درس Pounds و Ball مناطق النواة في دول أوروبا وصنفوها إلى ثلاث فئات:
- مناطق نواة بارزة (Distinct Core-Areas) مثل منطقة النواة في فرنسا وروسيا.
- مناطق نواة طرفية (Peripheral Core-Areas) مثل نواة البرتغال ويوغوسلافيا.
- مناطق نواة غير بارزة (Undistinct Core-Areas)، مثل منطقة النواة في ألبانيا وبلجيكا.
- بالنسبة للموقع، قدم Glassner و Bilij تصنيف المناطق النواة وفقًا للموقع في القالب المكاني للدولة، وحصروها في ثلاث فئات:
- مناطق نواة مركزية (Central Core-Areas) مثل منطقة النواة في فرنسا وجنوب أفريقيا.
- مناطق نواة هامشية (Marginal Core-Areas) مثل البرازيل والأرجنتين.
- مناطق نواة خارجية (External Core-Areas) وفيها تكون النواة خارج أرض الدولة، وذلك نتيجة لأن الدولة شهدت انقسامات إقليمية أو تغيرات للحدود، مثل باكستان وبنجلادش، وجمهوريات الاتحاد السوفيتي.

• أنماط الدول وفقًا لمنطقة النواة

- جلاسنر ودي بليج قاما بتصنيف الدول بناءً على طبيعة منطقة النواة إلى:
- دول متعددة النواة (Multi Core-State)، مثل نيجيريا التي لديها ثلاث مناطق نواة.
- دول وحيدة النواة (Single-Core-State)، مثل تايلاند ومصر وبريطانيا وفرنسا.
- دول عديمة النواة (No-Core-State)، مثل تشاد وموريتانيا.
- بول وبوندز قدما معايير لتحديد منطقة النواة تشمل الفائض الاقتصادي، التربة الخصبة، والموقع المركزي في طريق تجارة السلع غير المتوفرة محليًا.

• المعايير الجغرافية لتحديد منطقة النواة

- جلاسروودي بليج قدما معايير أخرى لتحديد منطقة النواة تشمل الكثافة السكانية العالية، الإنتاجية المرتفعة، شبكات النقل والاتصالات المتوفرة، كفاءة وظائف النواة كعامل تماسك للدولة، الموضع، التجانس الإثني لسكانها، ووجود العاصمة السياسية.
- حميد قدم معايير متنوعة لتحديد منطقة النواة تشمل السكان، المساحة، شبكات النقل، النشاط الاقتصادي، المعيار الدفاعي، والمعيار التاريخي.
- الهدف من دراسة وتحديد منطقة النواة في الجغرافيا السياسية ينصب في الأساس على المعيار التاريخي، وذلك لتحديد دور وأهمية منطقة النواة في نشأة الدولة وبناء منطقتها السياسية والترويج لفكرة الدولة، ودورها في الحفاظ على استمرار وتماسك هذه الدولة.
- وانطلاقاً مما سبق يمكن حصر المعايير الجغرافية التي يتم علي أساسها ، تحديد منطقة النواة في الدولة والتي يوضحها في المعايير الآتية :
- المعيار التاريخي: يبرز دور منطقة النواة في بناء ونشأة الدولة، والترويج لفكرتها خلال المراحل الأولى لنشأتها، ونشر هذه الفكرة في الأقاليم المجاورة والمحافظة على استمرارها ووجودها داخل نفوس السكان.
- المعيار الاقتصادي: تتمتع منطقة النواة باتساع نطاق التربة الخصبة ووفرة في موارد المياه وتنوعاً في الإنتاج.
- المعيار السكاني: تتميز منطقة النواة بأنها أكثر كثافة جهات الدولة سكاناً، كما أنها تمثل أكثر مناطق الدولة تجانساً من حيث الخصائص الإثنية.
- المعيار السياسي: تمثل منطقة النواة النفوذ والثقل السياسي داخل الدولة، حيث تتركز فيها العاصمة السياسية والوزارات والسفارات والقنصليات الأجنبية، بجانب المنظمات والهيئات الدولية.
- المعيار الإستراتيجي: تتمتع منطقة النواة بأهمية إستراتيجية قصوى في الدفاع عن الدولة، لذا تتركز بها أهم القواعد الحربية والوحدات العسكرية، ومراكز القيادة والسيطرة، ومعظم البنية التحتية للتصنيع العسكري والحربي، كما أنها تتمتع بحماية طبيعية من الأخطار الخارجية.
- المعيار الثقافي - الديني: تتمتع منطقة النواة بأهمية دينية وثقافية في نفوس السكان، بما تضمه من أماكن ذات ثقل ديني وثقافي، كما تتركز بها الغالبية العظمى من المؤسسات التعليمية والإعلامية.
- معيار شبكات النقل: تكون منطقة النواة أكثر كثافة جهات الدولة ووفرة وتنوعاً في طرق ووسائل النقل، حيث يكون داخل منطقة النواة عادة أكبر عدد من عقد ووسائل النقل الرئيسية في شبكة النقل داخل الدولة.

• رابعاً: التنظيم الداخلي Internal Organization

- التنظيم الداخلي للدولة يعد أحد العوامل البنائية الأساسية التي تساهم في بناء الدولة وتسهيل إدارتها.
- يساعد التنظيم الداخلي على تحقيق درجة عالية من التكامل الإقليمي للدولة من خلال بناء سلطة مركزية تمارس سلطاتها على كافة أجزاء الدولة.
- الهدف من التنظيم الداخلي هو تحقيق الوحدة والتنسيق بين الأقسام الداخلية للدولة.
- يتم تقسيم الدولة إلى وحدات فرعية أصغر لكل منها وظائف إدارية تطلع بمسئولياتها في إطار نسق وظيفي واحد.
- المعايير المستخدمة لتحديد منطقة النواة في الدولة تشمل المعيار التاريخي، المعيار الاقتصادي، المعيار السكاني، المعيار السياسي، المعيار الإستراتيجي، المعيار الثقافي - الديني، ومعيار شبكات النقل.
- التنظيم الداخلي (Internal Organization) يعني تنظيم بنية الدولة الداخلية وفقاً لتقسيمات إدارية.
- تعرف هذه التقسيمات بنظام الأقسام المدنية الأول (First Order Civil Divisions)، والتي تتدرج الأقسام الفرعية (Sub Divisions) تحتها.
- تتنوع أسماء هذه الأقسام وتختلف من دولة لأخرى، ولكن الجغرافي السياسي يهتم بوظائفها كسواعد إدارية مرتبطة بالحكومة المركزية.
- التنظيم الداخلي للدولة يهتم بدراسة أقسام الدولة الداخلية، سواء مقاطعات أو محافظات، وإبراز ما بينها من أوجه شبه واختلاف.
- التباينات الإقليمية (Regional Diversities) بين أقسام الدولة قد تسبب الكثير من المشكلات، لأنها قد تؤدي إلى حدوث اختلافات في تفسير مسألة الولاء والمصالح القومية وتوزيع الثروة القومية على أقسام الدولة.
- التنظيم الداخلي للدولة يعني تقسيم منطقة الدولة إلى وحدات إدارية منظمة ومحددة بشكل جيد لتسهيل إدارتها والتحكم فيها.
- الهدف من التنظيم الداخلي للدولة هو بناء وحدة متماسكة (Coherent Unity) ودرجة عالية من التجانس (Homogeneity) في جميع مناطقها.
- التنظيم الداخلي للدولة يهدف أيضاً إلى إقامة وحدات جغرافية أكثر منطقية (Geographical Rational Units) وتقويض الولاءات التقليدية (Undermine Traditional Loyalties) داخل الدولة.
- الحكومة المركزية مطالبة بالتحكم السياسي الكامل في المنطقة الداخلية للدولة والمحاطة بحدودها.

- الحكومة المركزية يجب أن تحتوي على “جيوب الفتنة والانقسام” (Pockets of Dissent and Divisiveness) والتصالح معها عبر منحها امتيازات (Concessions) وحقوق (Privileges) خاصة بها في تلك المناطق.
-

أحمد كرم